Coptology

رسالة إلى المرتدين عن المسيحية الأرثوذكسية

الذين يتزعمهم أحد المرشحين
لكرسي مار مرقس

دكتور
جورج حبيب بباوي

أكتوبر ٢٠١٢

www.coptology.org

– ١ –

كيف حلت الخطية محل الرب يسوع؟

لم يحدث في تاريخ الكنيسة أم الشهداء أن نظَّمت جماعة من الإكليروس هجوماً على الإيمان الأرثوذكسي مثلما يحدث الآن. هجومٌ على الإفخارستيا بمقولة أننا نتناول جسد المسيح ودمه فقط دون اللاهوت، وبذلك قسَّموا المسيح مثل نسطور. وهجوم على الروح القدس؛ إذ حولوه إلى مجموعة من المواهب، ولكن الأفظع من هذا كله، هو أن الخطية صارت هي القاعدة التي تشرح العقائد المسيحية:

١– خطية آدم هي سبب تجسد الابن، وليس محبة الله للبشر هي سبب تجسده. حلَّت الخطية محل المحبة الإلهية، أو كأن الخطية أنشأت المحبة الإلهية.

٢– وجود خطايا فينا معناه أن الروح القدس ليس فينا وليس لنا شركة مع الله.

٣– الخطية تُعيد الإنسان إلى حالة آدم بعد السقوط، الأمر الذي يعني أن كل خاطئ وخاطئة هما بلا حياة؛ لأن المعمودية والميرون كلاهما ضاع، ولم يعُد أمام هؤلاء الخطاة سوى تحليل الأب الكاهن.

هذا هو "طبل" الخطية الذي يدق عالياً منذ ٣٠ سنة وأكثر، دقات الذنوب والرعب والعقوبات والنار. يدق على هذا الطبل أساقفة وكهنة وعلمانيون تربُّوا في مدرسة الخطية .. ونحن هنا نسجِّل أن ذلك يعَدُ ردةً عن الأرثوذكسية، وعن بشارة الحياة، وعن المحبة الإلهية، وبالتالي انتصارٌ الشيطان الذي تحالف مع بعض الإكليروس لإسقاط بشارة الحياة والقضاء على الإنجيل الخبر السار.

تحوُّلنا الى حياة المسيح لا يعني أننا نصبح المسيح نفسه:

لقد خسرت الكنيسة القبطية سر المعمودية؛ لأنه يُمارَس دون وعي، ودون إعداد

للآباء، ودون مراعاة للطقس نفسه. وهذه هي صلواتنا القبطية تقول عن الموعوظين:

- "لكي تجعلهم أهلاً أن يفوزوا بالنعمة .. ويطهروا من الخطية التي في العالم ويعتقوا من عبودية الفساد لأن سلطان الرحمة بيدك أيها الضابط الكل".
- "لينالوا من روح قدسك، ويمتلئوا من قوتك الإلهية محفوظين بنعمة روحك القدوس".
- "أنت دعوت عبيدك هؤلاء الداخلين من الظلمة إلى النور ومن الموت إلى الحياة ومن الضلالة إلى معرفة الحق".
- "جدد حياتهم ... لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد بل أبناء الحق".
- "إذ تعدهم هيكلاً لروحك القدوس".
- "خرافاً ضمن قطيعك .. ووارثين لملكوتك السماوي".
- "عرِّهم من الإنسان العتيق .. جدد ميلادهم بالحياة الأبدية، أملأهم من قوة روحك القدوس .. لكي لا يصيروا بعد أبناء الجسد بل أبناء الملكوت".

بل بكل جسارة بشارة الحياة:

- "نسألك يا ملكنا عن عبيدك: أنقلهم وأبدلهم وقدِّسهم وقوهم".

وتعبير "النقل" هو نفس التعبير المستخدم لنقل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه في كل القداسات الارثوذكسية.

فكيف دخلت روح الارتداد؟ والجواب هو بسبب انعدام التعليم عن سر التبني، أي سر المعمودية واختفاء سر مسحة الميرون تماماً من التعليم المعاصر، كأنه بلا وجود وبلا فاعلية.

لكن المأساة الحقيقية ليست في الجهل وحده، بل في إنكار فاعلية سر الانضمام إلى المسيح في أسرار الانضمام أي المعمودية، والميرون والإفخارستيا، فهي أسرار ثلاثة لها هدف واحد هو شركتنا في المسيح.

عندما نرى في كياننا خبرة قديمة وذاكرة شريرة تعود إلى الوعي، فهل هذا يعني أن ما أخذناه ضاع وذهب هباءً؟ الجواب بالطبع لا، ولكن الثقافة السائدة في المجتمع المصري لعدة قرون، تُماهي بين مجرد التفكير في شيء أو تخيله، وبين فعله، وذلك نتيجةً

لسوء فهم بعض كلمات الرب يسوع، ولأن الثقافة الدينية المصرية هي مزيج من المسيحية والإسلام، لذلك هي لا تقبل أن يكون فينا كيان جديد يجب أن ينمو.

ولكن عودة العادات القديمة لا تلغي السرائر، ولا تهدم النعمة، بل هي بداية تجديد هذه العادات وتحوُّلها التام إلى عادات مضادة مختلفة، وهو أهم ما سُلِّم إلينا في الآداب النسكية.

هل يتدنس المسيح ربُّ الطهر بخطايانا عندما نتناول جسده ودمه؟

وكما تركنا سر المعمودية لأيادٍ غير أمينة تحرص على "هيصة" "أحد التناصير" الذي يأتي قرب نهاية الصوم الكبير باعتبار أن الكنيسة تستعد لقبول الآتين إليها بالصوم، ولكن هذا الاستعداد ضاع أو غاب، وهكذا لم تحرص هذه الأيادي الغير الأمينة على تسليم سر الإفخارستيا المجيد، ونسينا أن الكاهن يعترف ومعه الشعب:

"اشترك في العمل معنا .. لأنك أنت هو غفران خطايانا وضياء نفوسنا وحياتنا وقوتنا ودالتنا. وأنت الذي نرسل لك الى فوق المجد والإكرام والسجود أيها الآب والابن والروح القدس".

وذبيحة الإفخارستيا هي ذبيحة عن خطايا الكاهن وجهالات الشعب، وهي" طاهرة كموهبة روحك القدوس"، أي لها نفس طهارة روح الله. لقد جاء الحي إلى الأبد وهدم الموت بظهوره المحيي، ولذلك تقول الكنيسة:

"طهرنا من كل دنس ومن كل غش ومن كل رياء ومن كل فعل خبيث ومن تذكار الشر الملبس الموت".

لأن تذكار الشر لا يفارقنا. وهنا أذكر مثلاً للأب القمص مينا المتوحد، قاله لنا وهو يبتسم: كان فيه واحد أسمه جاهل وسيده كان بيحبه، وغيِّر أسمه إلى فاهم، ولكن الخادم كان بيحب أسمه القديم، فكان سيده يقوله يا فاهم يا اللي كان أسمك جاهل، لحد ما كبر وعرف أن الاسم الجديد أحسن". والمغزى، أننا نحب القديم ونتمسك به، وهو الخطية، وهي غياب الخير وغياب النور، ولكننا نقول في صلاة القسمة:

"ونحن أيضاً الجلوس في الظلمة زماناً، أنعم علينا بنور قيامته من قِبَل تجسده

الطاهر، فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية لنضيء **بشكلك المحيي**".

فإذا لم نكن نتحول إلى شكل المسيح كما قال رسول الرب يسوع: "نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨)، وإذا لم يكن الله "قد أنعم علينا بالعتق من العبودية، وأعطانا الحياة من الموت"، وإذا لم تكن طلبة الكنيسة: "أمل أذنك يارب واسمعنا .. طهِّر إنساننا الداخلي كطهر ابنك الوحيد، الذي نريد أن نتناوله"، وبعد سرد كل الخطايا التي يطهرنا منها ربنا يسوع، يكمل الكاهن: "لكي نتناول بطهارة من هذه الأسرار النقية"، ولاحظ بقية كلمات الصلاة، فهي لا تتحدث عن طهارتنا نحن، بل "ونتطهر كلنا كاملين في أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا"، ثم ماذا نقول:

"إذ نصير شركاء في الجسد،

شركاء في الشكل،

وشركاء في خلافة مسيحك".

شركة الجسد هي: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً. لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً" (١كو ١٢: ١٢ – ١٣)، وشركاء في الشكل؛ لأنه "هو الذي سوف يغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على شكل أو صورة جسد مجده (راجع فيلبي ٣: ٢١) و"خلافة المسيح"؛ لأننا "ورثة الله مع يسوع المسيح" (رو ٨: ١٧).

المسيح القدوس هو قداسة القديسين:

يقول رسول الرب عن المؤمنين: "ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمةً هي من الله وبراً وقداسةً وفداءً" (١كور ١: ٣٠). المسيح الرب هو الحكمة، وهو البر، وهو القداسة، وهو الفداء. هو الشخص الوحيد الذي لا يمكن أن يتحول إلى فكرة في عقولنا. هو رب المجد ورب الحياة، وهو قداستنا كما يقول رسوله بولس، ولكن الجيل الذي دخل إلى دائرة الارتداد جعل الخطية تحل محل الرب يسوع، وصارت هي محور

الحياة والموضوع الأول والأخير إلى جوار المسيح. الموضوع الأصلي هو الخطية، والفرعي هو الرب، هكذا نسمع تراهات المطران الساعي بغير حد للجلوس على كرسي مار مرقس، وخرافات أساقفة، وتدليس كهنة، كلهم يعرفون الخطية أكثر مما يعرفون المحبة والقداسة، بل أكثر من معرفة الرب نفسه.

ولكن، ولأن الراعي الصالح الذي سعى وراء الخروف الضال لا يمكن أن يفارقنا، ولا أن يتركنا مَن بذل نفسه عنّا، لذلك بعد صلاة القسمة نقول:

"لا يتسلط علينا كل أثم .. أقطع عنا الأسباب التي تسوقنا إلى الخطية ونحنا بقوتك المقدسة".

وفي القداس الغريغوري نقول:

"طهرنا نحن أيضاً يا سيدنا كما قدَّست هذه القرابين".

لأن طهارة القربان هي طهارة كل مؤمن، لأن الله لا ينظر إلينا كخطاة، بل دائماً باعتبارنا "مباركي الآب". فهو لم يَصِف أحقر الخطاة – حتى – بأنه خاطئ مثل اللص اليمين، ولا الزانية التي أُمسكت في ذات الفعل، ولا بطرس الجاحد، فهو لم يوبِّخ بطرس، ولكنه حذَّر يهوذا كما سبق وحذَّر بطرس أيضاً بصياح الديك، ولذلك لا نسمع كلمة "خطاة" في صلواتنا بنفس الكثرة التي تقال اليوم، بل نسمع بوفرة "يا رب أرحم".

بث الرعب في نفوس لا تعرف الأرثوذكسية:

يقود أساقفة وكهنة حملة ضد ربنا يسوع نفسه. يقولون إن التعليم بالاتحاد بالمسيح في الإفخارستيا هو تعليم مزيَّف لأنه ادعاء بأن من يتناول يصبح هو المسيح .. هذه كذبة لم نسمعها إلَّا من الذين عندما أرادوا محاربة "الشركة في الطبيعة الإلهية"، قالوا مع نسطور إننا نتناول الناسوت بدون اللاهوت.

* نحن لن نصير المسيح؛ لأن الرأس الذي تنمو منه كل أعضاء الجسد هو المسيح، ولا يوجد رأسٌ آخر. "الرأس الذي منه كل الجسد .." (كولو ٢: ١٩).

* نحن أخوة له، وبسبب تجسده لا يستحي أن يدعونا أخوة قائلاً أخبر باسمك أخوتي وفي وسط الكنيسة أسبحك" (عب ٢: ١١ – ١٢)؛ لأنه هو الكبير المتقدم،

ونحن مثله في قيامته، ومثل اتحاد جسده بلاهوته نتحد نحن أيضاً بلاهوته؛ لأن الرسول يقول: "الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن متى أُظهر ذاك سنكون مثله" (١ يوحنا ١: ٢).

سؤالٌ ذو دلالة:

هل حقاً أن اتحاد الابن الكلمة بالجسد هو نفس اتحادنا نحن بالرب؟

نعم؛ لأن هذا هو زواج أبدي بين المسيح والكنيسة؛ لأننا بتجسد الرب صرنا أعضاء من لحمه وعظامه ونصير واحداً معه (راجع أفسس ٥: ٣٠). وقول الرب: "ليكون الجميع واحد فينا" (يوحنا ١٧: ٢١). إذا كان الأمر على هذا النحو، فكيف صدر قرار بتحريم ١١ أب من آباء الكنيسة، وهم بحسب الأيقونات ومحتويات أقوال هؤلاء الآباء التي وردت في كتاب أقوال مضيئة: أثناسيوس الرسولي – كيرلس الكبير – الأنبا أنطونيوس – الأنبا مقار – أغناطيوس الأنطاكي – بوليكاربوس الشهيد – إيرينيئوس – باسيليوس الكبير – غريغوريوس النزينزي – غريغوريوس النيسي – يوحنا ذهبي الفم، أضف إلى هؤلاء مار اسحق السرياني الذي يدَّعي نيافة المطران المرشح للكرسي البطريركي أنه نسطوري، في حين أنه من الكنيسة السريانية المشرقية التي لم توقع قرار الحرم على نسطور، ولكنها لا تؤمن بتعليم نسطور التي يؤمن بها البابا شنودة الثالث نفسه وشريكه في الخدمة نيافة المطران المشار إليه.

والسؤال: كيف يمكن أن نكون واحداً مع الثالوث وفي الثالوث بدون وحدتنا في المسيح؟

يعمل الشيطان بكل حيله ومكر لكي يفصلنا عن الله الآب وعن الرب يسوع وعن الروح القدس. عن الآب بإنكار بنوتنا له، وعن الابن بإنكار سكناه فينا، وعن الروح بالادعاء بأننا ننال مواهبه فقط.

سلسلة من الأكاذيب بدأت منذ ٣٥ عاماً بالهجوم على كتاب "العنصرة"، وهو أصلاً هجوم على الروح القدس، ثم على كتاب "الباراكليت في حياة الناس"، بإنكار عمل الروح القدس فينا، ثم إنكار الشركة في الطبيعة الالهية. وتجاسَرَ مطران دمياط ليقول

إن كاتب هذه السطور يحرِّف كلمات الرسول بطرس؛ لأن نص الكلمات هي شركاء في الطبيعة الالهية (٢ بط ١: ٤)، ولم يميِّز المطران العلَّامة بين عرض موضوع الشركة وشرحه، واقتباس كلمات الرسول بطرس، وكأن حرف الجر "في" هو موضوع المشكلة؛ لأنه يريد أن يبعد المؤمنين عن المسيح.

-٢-

حرف الجر (في) دليلٌ على ردة المطران

يقول نيافة المطران الطامع في كرسي مار مرقس ــ متهماً إياي – إنني مع غيري قد قمنا بتحريف عبارة الرسول بطرس (٢بطرس ١: ٤) من "شركاء الطبيعة الإلهية" إلى "شركة في الطبيعة الإلهية". التدليس هنا ظاهر لأن الموضوع هو "شركة"، والشركة في كل لغات الدنيا وليست العربية وحدها، تحتاج إلى حرف الجر "في" أو "مع"؛ لأننا نشترك، وهنا يستوجب الإيضاح أن نقرن الفعل بأحد حرفي الجر إما "في" أو "مع". فنحن نشترك "في ميراث القديسين"، أو "نشترك في الخبز الواحد" (١كو ١٠: ١٧)، بل غاب من وعي المطران أننا "نشترك في قداسة الله" (راجع عب ١٢ :١٠)، وهي أوضح، بل تُعد شرحاً رسولياً لكلمات القديس بطرس. ولعل المطران لم يلحظ أن عرض موضوع أسمه "الشركة" يحتاج إلى حرف الجر "في"، بينما شرح قول رسول المسيح "شركاء" لا يحتاج إلى "في". هكذا ذكرنا الكثير من الأمثلة في كتابنا "الشركة في الطبيعة الالهية، دراسة للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص – القاهرة ٢٠٠٧ – راجع صفحات ١٣ – ٣٤ وهي مراجعة لاستخدام حرف الجر "في" و"مع".

إن توهان جيل فقد الأرثوذكسية هو المعضلة التي تواجهنا؛ لأن التائه هو من لا يعرف الطريق، وهو أيضاً من ضَلَّ الطريق، في حين أن الطريق واحد، هو ذاته الذي قال: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦). فهو الوسيلة والغاية معاً؛ لأن "فيه"، أي في يسوع تم تحرير الإنسانية ونقلها من الموت إلى الحياة. وهنا "يسوع هو الحياة": "أنا هو القيامة والحياة (يو ١١: ٢٥). فنحن لسنا إزاء منهج أو مجموعة قواعد، بل إزاء شخص يسوع رب المجد (وهي النقلة الأرثوذكسية التي أعادها الأب متى المسكين إلى الوعي الكنسي).

الضربة الأولى هي فقدان الإيمان بتجسد الكلمة ابن الله:

لو كان المطران يؤمن بتجسد ابن الله، وأنه أخذ طبيعة قابلة للموت حسبما ورد عدة مرات في (تجسد الكلمة). وأنه "فيه"، أي في يسوع كلمة الله الآب تم تحوُّل الطبيعة الانسانية المائتة إلى طبيعة خالدة عديمة الموت، غالبة الموت والفساد والخطية، ونالت بهذا التحول مجد إلوهية الكلمة .. أقول لو كان يؤمن بذلك، لَمَا أثار هذه العاصفة التي انتهت بحكم القطع من الكنيسة الذي عندما صدر ضدي، كان قد صدر ضده هو نفسه ومعه ٧٢ أسقفاً سقطوا من درجة الأسقفية؛ لأن الحرم ارتد على رؤوسهم.

لو كان يؤمن بتجسد ابن الله لَعَرِفَ قيمة ودلالة حرف الجر "في"، والأهمية القصوى لهذا الحرف؛ لأنه إشارة إلهية إلى الوجود الإنساني لكل إنسان اتحد بالمسيح.

التجسد هو الذي أدخل البشر في حياة ابن الله:

عندما يشرح القديس اثناسيوس كلمات رسول الرب في (فيلبي ٢: ٩ – ١٠) يقول:

> "هو ذاته جعلنا أبناء الآب وألَّه البشر عندما صار هو نفسه إنساناً:
>
> Καί εθεοποίησε τούς άνθρώπους γενόμενος αύτος άνθρωπος.
>
> لذلك لم يكن هو إنساناً وصار الله، بل كان الله الذي صار إنساناً لكي يؤلِّهنا نحن، (ضد الأريوسيين ١: ٣٨ – ٣٩، وبالتالي ضد المطران العلَّامة أيضاً).

ويستخدم القديس اثناسيوس حرف الجر διά أي "بواسطة" أو "من خلال"، فيقول:

> "كل الذين دعوا أبناء وآلهة سواء على الأرض أم في السماء، نالوا التبني وتألَّهوا بواسطة الكلمة διά του Λόγου ومن الواضح أنهم أبناء وآلهة من خلاله (أو بواسطته)" (ضد الأريوسيين ١: ٣٩).

فتعبيرات "من خلال"، أو "بواسطة"، هي دعوة لإدراك ما حدث لناسوت الرب

الذي اتحد بلاهوته "بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير"، وهي المصطلحات التي تقاوِم النسطورية والأوطاخية معاً، أي الفصل بين اللاهوت والناسوت وذوبان الناسوت في بحر اللاهوت حسب أوهام أوطاخي.

إن ما غاب عن جيل يُدفع دفعاً للتوهان، هو أن المسيح ربنا قد ألَّه الناسوت الذي أخذه من القديسة مريم، وظل مع تألُّهِهِ ناسوتاً، ولذلك يقول القديس اثناسيوس:

"لم يفقد الكلمة شيئاً عندما أخذ جسداً .. ولكن بالحري ألَّه الذي أخذه أو لبسه εθεοποίησεν όπερ ένεδυσατο" (ضد الأريوسيين ١: ٤٥).

ثم لأن هذه ليست شركة خارجية؛ لأن التجسد هو ضد كل شركة أدبية خارجية يقول القديس أثناسيوس عن جسد الرب يسوع:

"**فيه نصبح قادرين على أن نتجدد ونتألَّه**

ίν έν αυτώ ανακαινισθήναι καί θεοποίηθήναι δυνηθώμεν" (ضد الأريوسيين ٢: ٤٧).

وطبعاً واضح أن حرف الجر الذي يخيف المطران ظاهر في الأصل اليوناني. كما يرد حرف الجر "في" مرةً ثانية، وفي الواقع عدة مرات لتأكيد ما تم في المسيح، أي في كيانه المتجسد؛ لأن تغيير كيان الإنسان في يسوع غائبٌ من وعي المطران لسبب واضح، هو عدم إيمان المطران بتجسد الكلمة؛ لأن التجسد غيَّر كيان الإنسان أولاً في يسوع لكي ينقل يسوع هذا التغيير إلينا، ليس شفوياً حسب عادة وعاظ جهلاء هدموا الحياة الأرثوذكسية، بل ينتقل إلى حياتنا من حياة الرب نفسه، من "الرأس"، أي يسوع إلى أعضاء جسده، أي الكنيسة في السرائر، لا سيما سر الانضمام الى جسد المسيح (المعمودية – الميرون – الافخارستيا)؛ لذلك السبب عينه يقول أثناسيوس العظيم:

"إن الجسد الذي أخذه الرب من والدة الاله قد جدَّده لأنه خالقه ويؤلِّهَه في ذاته εν έαυτώ θεοποήση لكي يقدمنا إلى ملكوت السموات بواسطة (أو في) مثاله؛ لأن الإنسان لا يكون قد تألَّه إذا اتحد بمخلوق، أو كان الابن ليس هو الإله الحق، ولا كنا نحن قد دخلنا الى حضرة الآب إذا لم

يكن (الابن) قد لبس جسداً ولم يكن هو الكلمة الحق".

بل لاحِظ خطورة ادعاء هذا المطران واللف والدوران حول حرف الجر "في" – وهو عنوان لموضوع الشركة كما قلنا سابقاً – لأن المعلم الأرثوذكسي أثناسيوس يقول بعد ذلك مباشرة عن تجسد ابن الله الكلمة:

"ولن نكون قد تحررنا من الخطية واللعنة إذا لم يكن الكلمة قد لبس جسداً لأننا كنا سنظل بلا شركة بل وغرباء، كما أن الانسان لم يكن قد تألَّه إذا لم يكن الكلمة قد صار جسداً له ذات طبيعة الآب".

أمَّا حجر العثرة أمام أساقفة الجهل فهو عبارة أثناسيوس العظيم:

"إن اتحاداً مثل هذا (من هذا النوع) هو أن يوحِّد ما هو بالطبيعة إنسان إلى ما هو بالطبيعة اللاهوت؛ لأن الخلاص والتألُّه صار مؤكداً" (ضد الأريوسيين ٢: ٧٠).

-٣-

"شركة، وشركاء"،
واللعب بالكلمات لخداع البسطاء والسذج:

لو أن كلمة شركة لم ترد في العهد الجديد، أو لم يكن لها وجود في الأسفار المقدسة أو صلوات الكنيسة؛ لَقلنا إن المطران صاحب العلم الغزير قد اكتشف التزوير والتحريف، ولكن يبدو أن معرفة صاحب العلم الغزير بالأسفار المقدسة شحيحة جداً، والدليل على ذلك:

أولاً: الفعل "يشترك":

- "مشتركين **في** احتياجات القديسين" (رو ١٢: ١٣)، ولاحظ حرف الجر الذي أزعج المطران.
- "الأمم قد اشتركوا **في** روحياتهم" (رو ١٥: ١٧).
- "ليشارك الذي يتعلم الكلمة المعلم **في** جميع الخيرات" (غلا ٦: ٦).
- "اشتركتم **في** ضيقي" (فيلبي ٤: ١٤).
- "لم تشاركني كنيسة واحدة **في** حساب العطاء والأخذ إلَّا أنتم وحدكم" (فيلبي ٤: ١٥).
- "لا تشترك **في** خطايا الآخرين" (١ تيمو ٥: ٢٢).
- "قد تشارك الأولاد **في** اللحم والدم اشترك هو أيضاً **فيهما** لكي يبيد بالموت

ذاك الذي له سلطان الموت" (عب ٢: ٢٤)، وهو من أعظم ما قيل عن تجسد الرب.

– "كما اشتركتم **في** آلام المسيح افرحوا" (١ بط ٤: ١٢).

إذا أعدنا ترتيب كلمات الوحي حسب التدبير، يظهر لنا أن فعل يشترك له جذر في تجسد الرب، فقد "اشترك الرب **في** اللحم والدم" (عب ٢: ١٤)، وبعدها نعرف أننا "نشترك **في** جسد ودم الرب"؛ لكي تنال هذه الحقيقة الإلهية المستعلَنة في يسوع قوتها وأساسها، بل وأبديتها، وهي أنه "أخذ الذي لنا واعطانا الذي له". وحسب صلاة التسبحة السنوية يوم الصلبوت، أي يوم الجمعة[١] "هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس وجعلنا واحداً معه من قبل صلاحه" (ثيئوطوكية الجمعة – القطعة ٣).

ثانياً الاسم "شركة"

– "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل **والشركة** وكسر الخبز" (أع ٢: ٤٢).

– "أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا **شركة** (حسب الأصل اليوناني)، وحسب ترجمة بيروت توزيعاً لفقراء القديسين" (رو ١٥: ٢٦).

وهذه الكلمات تشرح استخدام كلمة "**شركة**" في (أع ٢: ٤٢)؛ لأن المواظبة على الشركة هي تقديم احتياجات الفقراء من طعام وملابس، ولاحظ أن هذا ما سُمِّيَ باسم "الدياكونية" أو خدمة الشمامسة.

– "آمين هو الله الذي به دعيتم الى **شركة** ابنه يسوع المسيح ربنا". (١كو ١٠: ٩) وهي كلمات سوف لا يجد لها المطران العلَّامة تفسيراً.

– "أي **شركة** للنور مع الظلمة" (٢كو ٦: ١٤).

---

(١) يوم الصلبوت وردت في اكثر من مخطوطة قبطية عربية، وتقول المخطوطة ٢٣٣ على هامش في الورقة ٣٨ أ: "يوم صلبوت ربي هو يوم صومي عن كل بغضة وشر، يوم صفح الزلات وخلع الآفات، يوم حمل الصليب والسير في درب الحبيب، يوم الخلاص الفائق من حيل المحتال". المعلم عبد المسيح بن بولس الشطانوفي.

– "ملتمسين منا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة **وشركة** خدمة القديسين" (٢كو ٨: ٤).

وحسب الأصل اليوناني يجب أن نقرأ كلمة "سخاء في التوزيع" في (٢ كو ٩: ١١)، لأن مستر فان ديك أخذها من الترجمة الانجليزية المعروفة باسم *King James*، بينما الأصل يقول "سخاء في الشركة".

ولست أدري كيف – حسب الالتفاف حول الكلمات – يمكن للعلَّامة أن يقول إن تعبير "شركة الروح القدس" في (٢ كو ١٣: ١٤) "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" هي ليست شركة في الطبيعة الإلهية لأن النعمة من الابن والمحبة من الآب، ثم الشركة هي غريبة بعيدة عن الله .. هل هذا مقبول لدى أي مسيحي؟

– "أعطونا أنا وبرنابا يمين الشركة" (غلا ٢: ٩)، وهي هنا وضع اليد؛ لأنها شركة في الرسامة.

– "إن كان وعظٌ ما في المسيح .. إن كانت شركةٌ ما في الروح" (فيلبي ٢: ٧)، فهل الوعظ في المسيح يجعلنا خارج المسيح، أم في المسيح؟ وهل الشركة في الروح هي غير "شركة الروح القدس" (٢كو ١٣: ١٤)؟ أليس اللعب بالكلمات وحروف الجر هو خداع البسطاء وحفر هوة عميقة تفصل بينهم وبين الثالوث القدوس .. هل هذا يليق؟ وهل هذه شهادة للرب وخدمة تعليم، أم هدم منظم؟

– وحسب الأصل اليوناني "لا تنسوا فعل الخير والشركة لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله"(عب ١٣: ١٦).

– "الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم ايضاً شركة معنا أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١يوحنا ١: ٣). فهل أدرك المطران أن استخدام حرف الجر "μετά – مع" هي أداة تؤكد الاجتماع معاً في شركة، وإلَّا ما هو الذي "مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح"، وهو ما يؤكده الرسول نفسه: "إن قلنا إن لنا

شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق" (١يوحنا ١: ٦)، ولأن الشركة هي اجتماع الكل في علاقة، يقول: "ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية".

ومع الشركة جاءت "شركاء"، "ونحن شركاء الروح القدس" (عب ٦: ٣). فكيف يجب أن نفهم باستقامة كلمات الرسول؟

"الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح" (١كو ١٠: ١٥)، وغاب حرف الجر "في"، ولكن استخدام كلمة **τοῦ** وهي خاصة بالملكية تجعل الرسول بعد ذلك يقول: "لأننا جميعنا نشترك **في** الخبز الواحد". ولعل المطران وجد حرف الجر "في" الذي ضاع منه ويحاول محاصرة شركاء الطبيعة الالهية من أجل تدمير العلاقة الكيانية بين الانسان والثالوث لتصبح علاقة خارجية أدبية اخلاقية فقط.

حرف الجر "في" الخاص بالشركة في كتابات القديس اثناسيوس:

التبني هو موضوع أساسي في المسيحية وخاصة الأرثوذكسية، لا تسمع عنه إلَّا القليل جداً. والمحاولة التي قام المتنيح الانبا شنودة لإنقاص قدر هذه النعمة وردها إلى العهد القديم اعتماداً على عبارة الرسول بولس عن بني إسرائيل: "هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والشرائع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين" (رو ٨: ٤ – ٥)، هي محاولة واضحة. لأنه إن كانت الأبوة والبنوة بكل تأكيد وردت في العهد القديم في عبارة النبي: "الرب يتكلم ربَّيت بنين ونشَّأتهم أما هو فعصوا عليَّ" (أش ١: ٣)، إلَّا أن استخدام اسم الأب لله، هو استخدامٌ شحيحٌ جداً في العهد القديم؛ لأن الأبوة هنا هي أبوة الله الخالق لكل البشر، ولا خلاف على ذلك. لكن استخدام ما ورد في العهد القديم لضرب نعمة التبني في العهد الجديد هو الخداع الشيطاني الحقيقي؛ إذ لم يرد في العهد القديم ولا حتى شذرة تقول: "أمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يو ٢: ١٢ – ١٣)، ولذلك جاء التبني مع الخلاص الشامل ومع عطية الروح القدس التي تجعلنا

– بالروح القدس – نصرخ مع الابن نفسه: "أبَّا أيها الآب" (غلا ٤: ٤)؛ لأننا لم نأخذ روح العبودية للخوف، بل "اخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبَّا αββα الآب" (رو ٨: ١٥)، وهكذا يكمِّل الرسول البشارة التي لم يسمعها بني إسرائيل: "الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله" (رو ٨: ١٦) والتطبيق الأبدي: "فإن كنا أولاداً، فإننا ورثة أيضاً وورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٧).

فهل قرأنا في كل اسفار العهد القديم شيئاً يشبه هذه الكلمات: "روح التبني"، و"وارثون الله"، أو "بالروح القدس نصرخ أبَّا أيها الآب"؟ لماذا الخداع والهرب من أعظم عطايا العهد الجديد؟ يا ترى هل كنت يا أثناسيوس ترقب من بعيد بروح النبوة انحدار أحد أسلافك إلى هذا الدرك، ولذلك كتبت في المقالة الثانية في الرد على الأريوسيين:

> "إن الله لم يخلقنا بشراً فقط، بل دعانا أيضاً أبناء لأنه ولدنا. ولفظ "ولد" له دلالة هامة لأنه يتضمن الإشارة إلى "ابن" كما قال النبي: "ولدت بنيناً" (أش ١: ٢) ... واللفظ ولدت يعني في قول يوحنا: "أعطاهم سلطاناً أن يصيروا اولاد الله .." (يوحنا ١: ١٢ – ١٣) ... هذه هي محبة الله للبشر بالنسبة لأولئك الذي صنعهم صار لهم أباً أيضاً بعد ذلك حسب النعمة .. عندما حصل البشر الذين خُلقوا على روح ابنه (غلا ٤: ٦) ... ولكي يتم هذا، صار الكلمة جسداً لكي يجعل الانسان قادراً على تقبل الألوهة .. إننا لسنا أبناء بالطبيعة أمَّا الذي جاء وسكن وسطنا فهو ابن بالطبيعة لأن الله ليس أبانا بالطبيعة بل هو آب الكلمة **الكائن فينا** والذي به نصرخ "أبَّا أيها الآب" (٢: ٥٩).

مشكلة المطران مع حرف الجر "في":

لعله لم يقرأ كلمات الرسول بولس، وهي – بالمناسبة – ليست كلمات الأب متى المسكين: "في المسيح". ولعل بولس رأى هو أيضاً الانحدار نحو الارتداد، فكتب أكثر من مرة تعبير "في الرب"، ولاحظ أن خداع الالفاظ يجوز على عقول السذج فقط. يقول الرسول: "من يفتخر فليفتخر في الرب" (١كو ١: ٣١) وحرف الجر "في εν"

يؤكد العلاقة الكيانية، أمَّا في الترجمات الانجليزية، فإن استخدام of بدلاً من in أو "بـ" كما في (١كو ١٠: ١٧)، فهو استخدام معروف لمن يريد أن يقرأ العهد الجديد لكي يتعلم، لا لمن يقرأ لكي يُحرِّم ويثبِّت تعليماً لا تعرفه المسيحية. ولاحظ "كان الله في المسيح مصالحاً العالم" (٢كو ٥: ١٩)، ثم "واضعاً فينا خدمة المصالحة" (٢كو ٥: ١٩ – ٢٠). ولنا "فيه الفداء بدمه غفران الخطايا" (١كو ١: ١٣). هل يمكن أن يكون لحرف الجر "في" أي دلالة أخرى سوى استعلان الكيان الجديد في المسيح، أي الخليقة الجديدة "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو ٥: ١٧)؟ وهل كان الرسول يصف علاقة أدبية أخلاقية خارجية كما ادعى أساقفة الجهل عندما قال: "أستطيع كل شيء في المسيح يسوع الذي يقويني" (فيلبي ٤: ١٣)، "أخيراً تقووا في الرب وفي شدة قوته" (افسس ٦: ١٠)؟

صدام السلطة الشيطانية مع تعبير "في الرب":

لو كان أساقفة الجهل يؤمنون أن المسيح فينا "المسيح فيكم رجاء المجد" (كولو ١: ١٧)، ولو كانوا يؤمنون أن المسيح "يحل في قلوبنا بالإيمان" (افسس ٣: ١٧) أو "تحل عليَّ قوة المسيح" (٢كو ١٢: ٩)، لَكانوا أدركوا أن التعامُل مع المؤمنين هو تعامل مع المسيح نفسه الكائن في كل أعضاء جسده الكنيسة (١كو ١٢: ٢٧). كيف يمارس أسقفٌ محبة المسيح وهو لا يعرف إلَّا العجرفة والقساوة، ولم يعرف طعم المحبة، ولا اختبر قوة التواضع، ولم يدخل الخدمة كراع بل كسيد يلبس عمامة كبيرة ويسير بعصا سوداء مختالاً مثل الطاووس وليس مثل سيده الذي "لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته"، بل يقف أمام الميكروفونات لكي يوزع جهنم على كل من يختلف معه، كأن حرمان البشر الأبدي من الله هو نشيد انتصار وصلاح، بينما هو في حقيقة الأمر فرحٌ ورقصٌ مع الشيطان نفسه الذي يفرح بالهالكين.

هذا هو جوهر المشكلة، فهو ليس حرف الجر، وإنما دلالة حرف الجر الذي يؤكد الاتحاد بالمسيح.

العبارات الواضحة عند القديس اثناسيوس التي يظهر فيها حرف الجر "في":

"إننا قد خُلقنا حسب الصورة ودعينا صورة الله ومجده، وذلك ليس من ذواتنا، بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقي الساكن فينا الذي هو كلمته والذي صار جسد لأجلنا" (ضد الاريوسيين ٣: ١٠).

ومن سوء حظ الأنبا بيشوي يقول العظيم أثناسيوس في الرسالة إلى أدلفوس:

"هو صار إنساناً لكي يؤلِّهنا فيه

γέγονε γάρ άνθρωπος ἵν ήμάς έν έαυτώ θεοποιήση"

(فقرة ٤ مجلد ٢٦: ١٠٧٧ a)

ويقول العظيم أثناسيوس عن التحول الكياني في الانسان:

"لأننا لم نعد نموت بحسب بدايتنا الأولى **في آدم**، بل بسبب أن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة، فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبطِلَت بسبب ذلك **الذي هو كائن فينا** والذي قد صار لعنةً لأجلنا، وكما أننا نحن جميعاً من الأرض **وفي آدم نموت**، هكذا نحن إذ نُولد من فوق من الماء والروح، فإننا **في المسيح** نُحيا جميعاً، فلا يعود الجسد فيما بعد أرضياً، بل يصير إلهياً كالكلمة، وذلك بسبب كلمة الله الذي لأجلنا صار جسداً" (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣ – مجلد ٢٦: ٣٨٣ – ٣٩٦ a).

* في آدم جاء الموت.
* في المسيح جاءت الحياة والقيامة.
* الموت حقيقة كيانية كامنة فينا.
* القيامة ليست قيامتنا نحن، بل هي القيامة التي وُهِبَت لنا في المسيح في المعمودية (رو ٦: ١: ٨).

يقول القديس أثناسيوس عن هذا التحول الذي بدأ أولاً في ناسوت الرب نفسه:

"كل البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان هو أول من خُلِّص

وحُرِّر لأنه هو جسد الكلمة ذاته، ونحن هكذا قد اتحدنا في جسد واحد

σύσσωμοι τυχχάνοντες

وخلُصنا حسب ذلك الجسد (الذي تم خلاصه وتحريره وهو جسد الكلمة) (ضد الأريوسيين ٢: ٦١ – مجلد ٢٦: ٢٧٧ b).

لقد هَدَمَ التعليم المعاصر صرح الأرثوذكسية الأول، وهو الثالوث. وكل الذين يهاجمون الشركة في الطبيعة الإلهية هم بالضرورة في حقيقة الأمر لا يؤمنون بالثالوث ولا بالتبني ولا بما جاء به العهد الجديد، وهو أن شركتنا **في المسيح** ليست من انتاج "الدماغ"، أي الفكر، ولا هي وليدة الإرادة الإنسانية، ولا مصدرها الإيمان، بل هي عطية الله الآب لنا تُعطى بالروح القدس، فهو أي الأقنوم الثالث الذي يوحِّدنا بالابن وبالآب، وهنا يصبح دور الايمان هو القبول، ودور الإرادة هو البقاء في النعمة، ودور الفكر هو أن يحيا حسب العطية. ولاحظ كيف يدافع القديس ثناسيوس في إلوهية الروح القدس:

"لو كان الروح القدس مخلوقاً لَمَا كان لنا اشتراكٌ **في** الله بواسطته، فإن كنا قد اتحدنا بمخلوق نصبح غرباء عن الطبيعة الإلهية لأننا لم نشترك فيها" (الرسالة الأولى الى سرابيون: ٢٤).

ثم:

"المسحة والختم الذي فينا ليس من طبيعة المخلوقات، بل من طبيعة الابن، الذي يوحِّدنا بالآب بواسطة الروح الذي فيه (في الابن) .. بهذا نعرف اننا نثبت في الله وهو فينا، أنه قد أعطانا من روحه (١يو ٤: ١٣)" (المرجع السابق).

المطران لا يريد أن يقرأ ويسمع كلام القديس يوحنا، ولا شرح القديس أثناسيوس. هو يريد أن يحفظ أولاد الله بعيداً عن الله؛ لكي يحكم ويسود عليهم، وهو بالضرورة عمل الشيطان نفسه، وردة عن الايمان. ولذلك يجب أن نأخذ كلمات القديس أثناسيوس بكل اهتمام:

"إن كنا بالاشتراك **في** الروح نصير شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط ١: ٤)، فإنه من الجنون أن نقول إن الروح من طبيعة المخلوقات وليس من طبيعة

الله. وعلى هذا الأساس فإن الذين هم **منه**، يتألَّهون، وإن كان يؤلِّه البشر فلا شك في أن طبيعته هي طبيعة الله" (مجلد ٢٦: ٥٨٥ – a٥٨٨).

وهذا حرف الجر في رسائل سرابيون:

"الملائكة والمخلوقات الأخرى تشترك في الروح .. في الابن نصير كلنا شركاء في الروح" (١: ٢٧).

وعن طقس الانضمام إلى الكنيسة يقول العظيم في أساقفة الإسكندرية:

"المواهب التي يقسمها الروح لكل واحد، تُمنح من الآب بالكلمة .. تُعطى من الابن **في** الروح، هي مواهب الآب. وحينما يكون الروح فينا، فالكلمة الذي يعطي الروح يكون أيضاً فينا والآب كائن في الكلمة، وهكذا يتم ما قيل "سنأتي أنا والآب ونصنع عنده منزلاً" (يو ١٤: ٢٣)" (الرسائل إلى سرابيون ١: ٣٠).

أما عن النعمة فإن المعلم السكندري يقول:

"هذه النعمة والهبة تُعطى في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس، وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا لا يكون لنا شركة في العطية إلَّا في الروح القدس. لأننا حينما نشترك **فيه** تكون لنا محبة الآب ونعمة وشركة الروح نفسه" (المرجع السابق ١: ٣٠).

نحن لسنا خارج الله حتى نحذف حرف الجر "في"، بل إن ما يُعطى لنا، إنما يُعطى في الثالوث والكل من إله واحد" (المرجع السابق ١: ٣١).

ومجد الحياة الجديدة الذي يرفضه المطران؛ لأن الحياة القديمة هي حياة العبودية وهي التي تسمح – في عبودية آدم – للموت والخطية أن يُستعبد الشعب بسلطان لا علاقة له بالرب يسوع، ولكن مع بولس وأثناسيوس تسمع التعليم الرسولي وبشارة الحياة:

– "إذ لم تأخذوا روح العبودية بل أخذتم روح التبني" (رو ٥: ٢٥).

"**ففيه** الكلمة (أي في الروح) يجعل الخليقة مجيدة ويعطيها الحياة الإلهية والتبني ويقودها للآب، ولكن الذي يوحِّد الخليقة بالكلمة لا يمكن أن

يكون واحداً من المخلوقات، والذي يمنح التبني للخليقة لا يمكن أن يكون غريباً عن الآب" (إلى سرابيون ١: ٢٥).

ومن سوء حظ الأنبا بيشوي أيضاً الذي حاول الالتفاف حول عنوان "الشركة في الطبيعة الالهية"، هذه هي كلمات القديس أثناسيوس:

"الروح ليس من المخلوقات، بل هو خاص بلاهوت الآب والذي **فيه** (في الروح) يجعل الاشياء المخلوقة **تشارك في الطبيعة الإلهية** ولكن الذي **فيه** تشترك الخليقة **في** الطبيعة الإلهية لا يمكن أن يكون خارج لاهوت الآب" (١: ٢٥ مجلد ٢٦: ٥٨٩-٥٩٠).

– ٤ –

آدم الأول، وآدم الأخير

وتبادل الصفات Communicatio Idiomatum

موضوع تبادل الصفات يشكِّل محور الخلاص برمته، ننشده عن دراية بأن الرب "أخذ الذي لنا"، أي الناسوت "وأعطانا الذي له"، وهو اللاهوت المتجسد؛ لأن عبارة "الذي له" لا يمكن أن تكون قاصرة على الناسوت؛ لأن المسيح الرب غير قابل للانفصال.

في الرد على الأريوسيين (٣: ٣٣) يقول القديس أثناسيوس:

"لو كانت أعمال الكلمة الإلهية قد حدثت خارج جسده الإنساني فإننا لن نتألَّه وأيضاً لو أن صفات (خواص) الجسد لم يأخذها ελέγετο أي تنسب إلى الكلمة، لَتَعَذَّر تحرير البشر من هذه الخواص".

وفي فقرة (٣: ٣٤) يقول:

"لأن الرب عندما تأنَّس ولبس الجسد، نحن البشر نتألَّه بالكلمة *Logos* لأنه أخذنا فيه بواسطة جسده

παρά τού Λόγου τε θεοποιούμεθα προσληφθέντες διά της σαρκός αυτού".

إن ما غاب من الوعي لدى المطران، وأيضاً لدى جيل تربى على محاربة الآباء، لا سيما القديس أثناسيوس، هو تألُّه ناسوت الرب يسوع؛ لأن هذا الجيل يريد أن يضع حملاً ثقيلاً على قلوب أبناء وبنات الكنيسة، ويعلِّمهم بأنهم منفصلون عن المسيح المخلص، وحتى ناسوت الرب نفسه لم يكن له شركة في مجد وحياة اللاهوت، وبالتالي يفقد كل مؤمن يسمع هذا التعليم الشرير مكانته في المسيح ووجوده في المسيح، ذلك

الذي جاهر به رسول الرب، فصار ينشد ويقول: "من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح **وأُوجد فيه**" (فيلبي ٣: ٨).

ولكن معلم التقوى الأرثوذكسية يقول لنا:

"لأنه هو الله، وقد أخذ جسداً، وهو في الجسد، ألَّه الجسد" (الرد على الأريوسيين ٣: ٣٨).

ولأن التأله هو تقديس الجسد، يقول أثناسيوس:

"جاء الكلمة وسكن بيننا لكي يفدي الجنس البشري، والكلمة صار جسداً لكي يفدي البشر ويألِّههم" (ضد الأريوسيين ٣: ٣٩).

التأله لا يعني تحول الانسان إلى إله كما ادعى الأنبا شنودة الثالث، ولكن التألُّه هو جسد القيامة، ذلك الجسد الذي لا يموت بعد القيامة؛ لأن الموت دُحِرَ على الصليب، والحياة أُعلنت بقيامة الرب، ولذلك يقول معلم الحق:

"ولكن الآن قام الجسد وخلع موته وتألَّه" (ضد الأريوسيين ٣: ٤٨).

هذه هي رفعة وتقدُّم الجسد، أي تطور الانسان الى وجود جديد جاء به الكلمة، يقول أثناسيوس العظيم في شرح (لوقا ٢: ٥٢) عن (نمو يسوع في القامة والنعمة) إن هذا النمو والتقدم هو خاص بالناسوت:

"ما هو هذا النمو الذي قِيل، وهو ما سبق وقلت عنه إنه التألُّه والنعمة θεοποιήσις καί χάρις أُعطي بواسطة الحكمة (يسوع) للبشر؛ لأن الخطية والفساد التي كانت فيهم قد قُطِعَا من المثال الذي (عرفوه) في الجسد لكي يكون حسب جسد الكلمة الذي يماثلونه" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٣).

وما غاب من الوعي المعاصر الذي لا يتمسك بالتسليم الكنسي، أن تطور ونمو جسد ربنا يسوع المسيح وحياته الانسانية هو خاصٌ بنا، هو تحولنا نحن وتطورنا نحن، أي إنسانيتنا في المسيح؛ لذلك يقول القديس اثناسيوس:

"إن العنصر الإنساني هو الذي تقدَّم في الحكمة ونما صاعداً ومتفوقاً

مراحل الحياة الإنسانية، فصار مُستعلناً للكل أنه أداة الحكمة العامل والمشرق بالألوهة" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٣).

إن تطور وتعالي الانسانية في المسيح وصل إلى عرش اللاهوت نفسه بصعود الرب وجلوسه عن يمين الآب، هذا ما يخيف الطغيان والاستبداد باسم الكهنوت.

ويقول القديس أثناسيوس في الرسالة الأولى إلى سرابيون عن الروح القدس:

"إننا بالشركة في الروح نصبح شركاء الطبيعة الالهية (٢بط ١: ٤) ويصبح من الجنون أن يقول أحد ما إن الروح هو من الطبائع المخلوقة وليس هو الله، لأنه يؤلِّه الذين يسكن فيهم واذا ألَّه هؤلاء فلا مجال للشك أن طبيعته هي من الله" (١: ٢٤ – الآباء اليونانيين مجلد ٢٦: ٥٨٩).

ولاحظ أن الالتفاف حول الكلمات لا يفيد، بل هو ضار جداً لأننا بالشركة في الروح نصبح شركاء الطبيعة الالهية.

وأخيراً الرسالة الى أدلفوس الفقرة ٤ يُظهر لنا أن تألُّه ناسوت الرب يسوع هو سبب تألُّه كل مؤمن بالمسيح.

"لقد صار إنساناً لكي يؤلِّهنا نحن فيه

γέγονε γάρ άνθρωπος ἵν ήμάς έν έαυτώ θεοποιήση".

(مجلد ٢٦: ١٠٧٧).

ويؤكد ذلك في رسالة الى مكسيموس فقرة ٢٥:

"نحن أُلِّهنا ليس بالشركة في جسد إنسان مثلنا، بل بقبول جسد الكلمة نفسه" (مجلد ٢٦: ١٠٨٨).

آدم الثاني مثال اتحادنا بالآب بنعمة وعمل الروح القدس:

في شرح انجيل يوحنا (١٦: ٧) يوجه القديس كيرلس السكندري شرح التعليم للمؤمنين حتى لا يضيع عليهم – في حرارة الصراع مع الأريوسية بالذات – ذلك الاستعلان العالي، وهو:

"إن يسوع هو الحياة، جاء لكي يحررنا من الموت والفساد؛ لأنه بالطبيعة حياة، وهي حياة إلهية أزلية نزلت إلى جسدنا وبشريتنا الغالبة في الموت، ولذلك صار المسيح الرب τύπος مثالاً، بل وقائداً καθηγητής إلى الحياة الجديدة".

وعندما يقول أثناسيوس وكيرلس السكندري معاً ان الرب يسوع "لبس الناسوت"، فهو تعبير يؤكد:

١- إن الناسوت صار خاصاً به، أي جسده الخاص.

٢- إن الناسوت اتحد بلاهوت الله الكلمة.

وعندما لبس الرب الناسوت، فقد صار كواحد منا، ولكنه صار البكر والمتقدم، ليس فقط لأنه اختلف عنا، بل لأنه جاء بالحياة الجديدة. فكيف يكون كواحدٍ منا، أي إنساناً كاملاً ويخدم الله الآب؟ يقول كيرلس العظيم:

"كيف لا يكون ضرورياً أن يكون معنا نحن الذين نعبده بالروح، وهو ذاته سكن في قلوبنا بالإيمان (أفسس ٣: ١٧) لأنه فينا وهو الذي يعطي لنا هذه الجسارة أن نصرخ: "أبَّا أيها الآب" (مجلد ٢: ٦٢٠).

لدى كل الآباء، لا سيما آباء القرن الرابع وآباء القرن الخامس، أن المسيح غلب التجارب، بل والشيطان كإنسان؛ لأن هذه الغلبة تُحسب للإنسان وتضاف للإنسانية الجديدة.

يقول القديس كيرلس:

"غلب المسيح التجارب لأجلنا كإنسان؛ لأنه صار البدء وباب الخراف والطريق للإنسانية. ونحن الذي غُلبنا قديماً قد صارت لنا الغلبة الآن بسبب الواحد مثلنا، والذي لأجلنا هو غلب، لأنه لو غلب كإله، فإن هذا لا يفيدنا بالمرة ولكن كإنسان قد انتصرنا فيه" (شرح انجيل يوحنا ٢: ٦٥٧).

هذه هي الأرثوذكسية:

"- المسيح هو مثالٌ لنا

- هو البداية

- هو أيقونة الحياة الإلهية
- أعلن لنا كيف تعيش هذه الحياة (شرح يوحنا ٢: ٦٧٢).

وبعد

١- إذا لم تكن فينا حياة يسوع، فكيف سوف نعيش إلى الأبد، والكنيسة تقول في أوشية الإنجيل: "لأنك انت حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا".

٢- إذا كانت عيوننا على خطايانا فقط، فلماذا لا تنظر أيضاً إلى النعمة؟ من يُجرح لا يبكي على الجرح، بل يبحث عن الدواء. من يسقط يقف، ومن يقف يسير، ومن يرى في قلبه خطاياه فقط، ففي هذه الحقيقة توجد الحقيقة الأكبر، وهي أن نعمة الحياة ليست من كياننا ولا هي من ذواتنا، ولذلك لا نراها فينا بشكل أوضح ولكن نراها بشكل أوضح في شركتنا مع الرب يسوع.

– ٥ –

أرسل الله روح ابنه الى قلوبنا صارخاً: أبَّا *abba* أيها الآب (غلا ٤: ٦)

اللاهوت لا يسكن ولا يحل فينا. هكذا يتكلم مدعو الكذب، وهؤلاء يكذبون وينشرون الكذب بتدليس صارخ قائلين بتحول الإنسان إلى إله، وبتدليس آخر أشر منه، وهو أننا سنصير مثل الله لنا وجود في كل مكان، وبلا خطية، وقادرون على كل شيء ... إلى آخر ذلك من عبارات تخيف الصغار وترسل رعدةً في أوصال مَن هو غير مسيحي لم يستلم الإيمان.

أولاً: إنكار تجسد ابن الله

هؤلاء عن جهل أو عن معرفة، ولكن بكل يقين عن جهل، أنكروا اتحاد الطبيعتين في الرب الواحد يسوع المسيح.

- واحدٌ مع الآب من جهة اللاهوت.
- واحدٌ معنا من جهة الناسوت حسب التدبير.
- ربٌ واحدٌ غير منقسم من بعد الاتحاد إلى طبيعتين.

لقد ظل الناسوت أو الطبيعة الانسانية ليسوع كما هي إنسانية كاملة؛ لأنها لو زالت، لزال معها خلاص كل إنسان، ولكن هذه الطبيعة الانسانية قال عنها رسول المسيح إنها: "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١)، فلم تعد بعد القيامة والصعود تلك الطبيعة التي وُضِعَت من أجل خلاص الانسان قليلاً عن الملائكة (عب ٢: ٩)، بل صارت بعد القيامة والصعود مكللةً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت (عب ٢: ٩). لقد اجتاز

السموات بمجدٍ إلهي (عب ٤: ١٤)، وبعد أن "ذاق الموت بالجسد"، بالقيامة، صارت له "قوة حياة لا تزول" (عب ٧: ١٦)؛ لأنه بعد القيامة "لا يموت ولا يسود عليه الموت" (رو ٦: ٩)، ولذلك يبقى يسوع المصلوب والحي لأجلنا لكي نحوز معه الصلب والقيامة "أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ. فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ" (رو ٦: ٣)، ولكننا لا نقف على أعتاب الموت، بل "كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً (نحيا نحن في الحياة الجديدة جداً حرفياً)، أو حسب ترجمة فان ديك العرجاء "فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ" (رو ٦: ٤).

فإذا كان من الواضح حسب كل عبارة في الرسالة إلى العبرانيين، وباقي الرسائل أن يسوع في مجده الالهي هو لا زال الإله المتجسد لأن بشارة الصعود المجيد هي أن "يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء" (أع ١: ١١)، وهو ما أكَّده رب المجد نفسه قبل آلامه المحيية في حديثه الأخير قبل الصلب: "حينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً على سحابة (سحابة المجد الإلهي الشاكيناه) بقوة **ومجد كثير**" (لوقا ٢٠: ٢٧).

إذن، فابن الإنسان سوف يأتي بمجد إلوهيته؛ لأنه لو ضاعت أو ذابت إنسانيته – كما قال اوطاخي – لَضاعت وذابت إنسانيتنا ولم يعد لها مجال.

وهنا يثور التساؤل: كيف استخف الشيطان بعقل أساقفة كبار، فشنوا حملة كراهية على القمص متى المسكين، وحملتهم هذه الكراهية إلى تدمير الإيمان المسيحي برمته؟ لأنه حسب عبارة القديس غريغوريوس النزينزي في رده على أبوليناريوس الذي أنكر كمال إنسانية المسيح: "**ما لم يتحد به (الله الكلمة) لا يخلُص ولا يُفتدى**"، وبالتحديد الجسد الانساني.

لقد جاء الأنبا شنودة الثالث – محتلاً قاعة الدرس بالإكليريكية – فحذف مادة اللاهوت المقارن لإستاذه د. وهيب عطا الله (الأنبا غريغوريوس)؛ ففقد هذا الجيل القدرة على التعامل مع أخطاء فادحة ارتُكِبَت في التاريخ الكنسي، وقع فيها الأنبا شنودة نفسه؛ إذ أعاد نفس عبارات نسطور في الكلام عن الإفخارستيا. نعم أعادها حرفياً وليس بالمضمون، ثم شن حملة شعواء تحت ستار البدع الحديثة ليقع هو نفسه في

الأوطاخية؛ لأن تحوُّل الإنسان إلى الله أو اللاهوت هو ذات تعليم أوطاخي الذي ينكر بقاء ناسوت رب المجد الاله المتجسد.

ثانياً الحلول المواهبي – التعليم الشيطاني المدمر:

لو سألنا المرتدين عن جهل: هل يمكن لطبيعة مخلوقة أن يكون لها خلود دون أن يُعطى هذا الخلود من الله؟ فإذا جاء الجواب بالإيجاب، لَقلنا إن هذا هو رد الوثنية المصرية، واليونانية القديمة، بل هو ردٌ واضح في أدبيات الإسلام أيضاً. ففي الإسلام، الإنسان سوف يعود الى الحياة في "يوم النشور" أو "يوم البعث" أو "يوم القيامة" أو "يوم الدين" خالداً خلوداً طبيعياً. هذا شأن الإسلام، ولكن أسلمة اللاهوت المسيحي موضوع آخر، فهو ليس من أجل الوحدة الوطنية؛ لأن الوحدة الوطنية دعامتها الدولة المدنية وليست العقائد الدينية كلها شرقاً وغرباً. وأنا هنا لا أحاكِم الإسلام؛ لأن شرح عقائد الإسلام هو من اختصاص علماء الأزهر، ولكنني أحاكِم خلط الفكر الوثني القديم مع اللاهوت المسيحي؛ لأن الخلود الطبيعي للإنسان – ويا للمفارقة – يجعله إلهاً بالطبيعة غير قابل للموت، ويصبح تجديد الجسد هو تجديدٌ لجزء من الإنسان، وهو الجسد، وليس تجديداً للروح والفكر والإرادة، أي الحياة الداخلية ***Inner Life*** التي لا تنقسم إلى جسد وروح. ولو كان التجديد قاصراً على الجسد وحده، فكيف استطاع بولس أن يقول إن الحياة الجديدة هي ثمار الروح، وهي المحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والإيمان والوداعة والتعفف (راجع غلا ٥: ٢٢ – ٢٣)، بل أن تخلعوا من جهة التصرف السابق (على الإيمان) الإنسان القديم الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق .. "ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء" (أفسس ٤: ٢٢ – ٣٠).

وهكذا، كما فصلوا اللاهوت عن الناسوت في الإفخارستيا (تعليم نسطور) فصلوا الروح عن المواهب (تعليم الشيطان).

"روح ابنه" (غلا ٤: ٦):

لاحظ هذه التعبيرات:

- "روح التبني" (رو ٨: ١٥).
- روح المسيح (رو ٨: ٩).
- روح الرب (٢كو ٣: ١٧).
- روح يسوع المسيح (فليبي ١: ١٩)، وراجع أيضاً (أع ١٦: ٧ – عب ٩: ١٤ – ١ بطرس ١: ١١).

روح التبني رو ٨: ٥ – غلا ٤: ٦:

يقول الرسول: "كل الذين ينقادون بروح الله، أولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤)، والمواهب لا تقود؛ لأن المواهب تحرك إرادة الإنسان، أمَّا الروح القدس فهو يقود ويعطي الحكمة والاستنارة والقرار الصحيح، ولذلك يكمِّل الرسول الشرح: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به تصرخون ***abba*** أبَّا (وهو نداء الأطفال في زمن المسيح باللغة الآرامية وهو يعني "أيها الآب")، فهل يمكن لهذا النداء الصادر من الروح القدس، وهو نداء الابن للآب نفسه (مرقس ١٤: ٣٦) أن يكون نداءً لنوعين من البنوة: بنوة غير مخلوقة وبنوة مخلوقة؟

لقد طلب منا الرب أن نسير الميل الثاني، وسوف نسير الميل الثالث والرابع مع هؤلاء من أجل الرب.

لو كانت هذه بنوة مخلوقة؛ لَصار التجسد باطلاً؛ إذ لم يعد نداء الابن هو نداء الإله المتجسد، بل نداء مخلوق مثلنا.

لو كانت هذه البنوة مخلوقة، والمتكلم هو روح الابن، هو روح التبني ينادي الآب أبَّا ***abba*** **فالروح يكون عندئذٍ هو نفسه مخلوق**؛ إذ لم يعد روح الابن غير المخلوق، بل صار أحد الأرواح المخلوقة مثل الملائكة، ولذلك يشرح القديس أثناسيوس هذه الحقيقة:

"هذه هي محبة الله للبشر .. فقد صار لهم آباً **بحسب النعمة** كما

قال الرسول عندما حصل البشر المخلوقون على روح ابنه في قلبهم صارخاً "أبَّا أيها الآب"؛ لأن هؤلاء هم الذين قبلوا الكلمة ونالوا سلطاناً أن يصيروا أولاد الله؛ لأنه لم يكن في إمكانهم حيث أنهم مخلوقات بالطبيعة، أن يصيروا أبناء بأية طريقة أخرى، إلَّا بأن يتقبلوا روح الابن الحق بالطبيعة. لذا ولكي يحدث هذا؛ فقد صار الكلمة جسداً لكي يجعل الانسان قادراً على تقبُّل الإلوهة" (ضد الأريوسيين ٢: ٥٩ — ٤: ٢٢).

وفي مجال الدفاع عن إلوهية الروح القدس يكتب اثناسيوس العظيم:

"الروح مختلف عن المخلوقات فهو خاصٌ بالابن .. وكما أن الرب (يسوع) هو الابن، فالروح يدعى روح البنوة؛ إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني (رو ٨: ١٥ – غلا ٤: ٦) .. ففيه يجعل اللوغوس الخليقة مجيدة، وبمنحه إياها الحياة الإلهية والتبني؛ فإنه يقودها إلى الآب" (الرسالة إلى سرابيون ١: ٢٥).

وأيضاً:

"الروح ليس مخلوقاً، بل هو خاصٌ بجوهر اللوغوس، وخاصٌ بالله، ولذلك هو كائنٌ فيه (اللوغوس) .. لأنه ليس خارج الابن فقد دُعي روح التبني .. وحينما نشترك في الروح، يكون الابن لنا، وحينما يكون الابن لنا، يكون الروح لنا "صارخاً في قلوبنا أبَّا أيها الاب" (غلا ٤: ٦) (الرسالة إلى سرابيون ٤: ٤).

هكذا يريد المرتدون أن يحرموا الشعب الواقع تحت وطأة كل أنواع الضغوط النفسية والسياسية والمالية والاجتماعية والتشريعية، من مجد المسيح ومن القوة الإلهية التي تعمل فينا.

روح المسيح (رو ٨: ٩ – فيلبي ١: ١٩):

يقول رسول الرب يسوع: "إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له (المسيح) (رو ٨: ٩). هل أدرك الذين جاءوا بهذا التعليم الشيطاني أن الروح هو روح

المسيح لأنه مسحه في الأردن، فصار المسيح (ضد الأريوسيين ١: ٥١)، وأن الروح القدس الذي فقده آدم بالسقوط قد أعاده الرب يسوع عندما قبله في المعمودية لكي يُوهب الروح لنا.

روح المسيح هو الذي يجعلنا نعترف بأن يسوع هو الرب (١كو ١٢: ١ – ٣).

روح المسيح هو الذي أقام يسوع، وهو الذي سوف يقيم أجسادنا المائتة؛ لأنه **ساكنٌ** فينا (رو ٨: ١١)، ولذلك يشهد لأرواحنا، فهل صار روح المسيح موهبةً؟!!!

هل نال يسوع موهبةً عندما اعتمد وحلَّ عليه الروح القدس حسب شهادة الأناجيل الأربعة، أم أنه نال الروح القدس لكي يحفظ هذا الروح القدس لنا؟[١].

يقول الرسول إن روح يسوع المسيح هو الذي يعطي له الشهادة لكي ينطق الكل بأن يسوع هو ربٌ لمجد الله الآب (فيلبي ٢: ٨). فالروح يعلِّم لأنه "روح الحق" وروح الحق يمكث معكم إلى الأبد (يوحنا ١٤: ١٦)، وتعليم الحق هو تعليم عن يسوع الذي قال: "أنا الحق" (يوحنا ١٤: ٦). والحق وهو يسوع، ليس موهبةً، بل هو أقنوم الله الكلمة المتجسد، ولذلك قال الرب: "المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يوحنا ١٤: ٢٩)، فهو المتكلم فينا لأنه "روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي" (يوحنا ١٥: ٢٦)، ولذلك يكمِّل الرب الكلام: "وتشهدون أنتم أيضاً" (يوحنا ١٥: ٢٧)، فهل هذا مواهب أم أنه الأقنوم الثالث العامل فينا؟ (راجع ١ بطرس ١: ١١) عن روح المسيح الذي كان في الأنبياء سبق فشهد بالالآم التي للمسيح والأمجاد التي بعدها".

المسيح حياتنا:

لكثرة الحديث عن الخطية، صارت الخطية حياة الذين يسمعون، ولكن المسيح رب المجد يقول: "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥)، فهل توجد قيامة وحياة بدون المسيح، وهو الذي يقول: "أنا هو القيامة والحياة"، ويقول لمن يريد الناسوت دون اللاهوت في الإفخارستيا: "مَن يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧)، وهذه ليست حياة

---

(١) راجع مقالتنا: لماذا اعتمد المسيح؟ منشورة على موقع www.coptology.com

مؤقتة على الأرض، بل كما يؤكد الرب "يحيا إلى الأبد" (يوحنا ٦: ٥٨)، فهو يقول لليهود: تموتون في خطيتكم .. "إن لم تؤمنوا إني **أنا هو** تموتون في خطاياكم" (يوحنا ٨: ٢١ – ٢٤).

لِنقل أن حياتنا الأرضية يمكن أن تمتد إلى ١٠٠ سنة، ولكن الحياة الأبدية هي:

١– الحياة الدائمة التي أُظهِرت لنا وصارت لنا شركة فيها (١ يوحنا ١: ٢).

٢– هبة الله في يسوع المسيح (رو ٦: ٢٣).

٣– هي معرفتنا بالآب في ابنه يسوع المسيح؛ إذ قال يسوع: "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧: ٣).

هذه الحياة ليست حياةً مخلوقةً من كياننا المخلوق، بل هي من الله الآب، وإلَّا لماذا قال الرب يسوع: "أنا هو القيامة والحياة"، إن كانت لنا حياة بعيداً عنه؟ ولماذا قال الإنجيلي يوحنا: "الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا" (١ يوحنا ١: ٢)، بل "هذا هو الوعد الذي وعدنا هو به الحياة الأبدية" (١ يوحنا ٢: ٢٥)؟ ولماذا يقول الرسول بعد ذلك أننا "انتقلنا من الموت إلى الحياة" (١يوحنا ٣: ١٤)؟

إن حياتنا المخلوقة لا تصلح لملكوت السموات، ولذلك جاء يسوع وحوَّل كياننا ليكون مثل كيانه حياً إلى الأبد. لأننا مثل آدم الترابي، صرنا "ترابيين" (١ كو ١٥: ٤٨)، ولكننا في يسوع المسيح، سوف نلبس "صورة السمائي" (١كو ١٥: ٤٩)؛ لأننا سوف "نتغيَّر"، ليس إلى حياةٍ مخلوقةٍ مثل حياتنا السابقة التي أخذناها من الوالدين حسب الولادة الجسدانية، بل إلى "الإنسان الجديد" (أفسس ٢: ١٢) "المخلوق حسب الله في البر وقداسة الحق" (أفسس ٤: ٢٤)، فهو "خليقة جديدة" (٢ كو ٥: ١٧)، وقد صار الجسد "أعضاء المسيح" (١ كو ٦: ١٥)، بل صار الجسد كله "هيكل الله لأن روح الله الروح القدس يسكن فيه" (١ كو ٦: ١٩ – ٢٠).

فهل لنا حياة أخرى خالدة حية لا تموت، مجيدة على صورة جسد مجده (فيلبي ٣: ٢١)، سماوية غير أرضية غير التي نأخذها في المعمودية؟ لأن بولس عندما قال: "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غلا ٢: ٢٠)، هل كان لبولس حياتين: حياة خاصة به،

وحياة أخرى في المسيح، أم حياة واحدة تلك التي يقول عنها: "لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الانسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أفسس ٣: ١٦-١٩)؟ أليس هو القائل: "لي الحياة هي المسيح" (فيلبي ١: ٢١)، فاذا كنا نرفض أن يكون المسيح حياتنا فماذا بقى لنا غير:

١- الخطية.

٢- الموت.

٣- الدينونة.

٤- مصير الشيطان.

ولكن "إن كنتم أمواتاً في الخطايا **أحياكم معه** .. لأنكم قد قمتم مع المسيح" (كو ٢: ١٣ — ٣: ١-٣).

-٦-

مشكلة ردة وليست مشكلة تفسير

الـذين يقـاومون حلـول الـروح القـدس فينـا، ويحـاربون شـركتنا في الـرب في الإفخارسـتيا، الشـركة في حَمَـل الله ربنـا يسـوع المسـيح الإلـه المتجسـد، يقعـون في بئـر النسطورية ويخدعون السذج بأننا لا نأكل اللاهوت - وطبعاً اللاهوت لا يؤكل، ولكن الحق في عدم الأكل يراد به باطل، وهو تناول الناسوت فقط، وهذا الأمر يؤدي إلى تقسيم المسيح الواحد الغير قابل للتقسيم؛ لأنه غلب "تقسيم الموت"، وهدم كل أشكال وطبائع الانفصال.

خلطٌ مَعيب:

وعنـدما تم إحكـام الحصـار علـى هـؤلاء، عـادوا مـن البـاب الخلفـي في محاولـة للهروب من مجابهة الرب نفسه، لا من يكتب أو يدافع، فقالوا ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب: "النص حمَّال أوجه"، وهو طبعاً كان يقصد بالنص النص القرآني، وتطبيق حد قطع اليد في عام الرمادة (المجاعة). والمعنى أن النص يحتمل الكثير من التفاسير، وهو ما نراه في أدبيات الإسلام؛ لأن الإسلام شريعة، والشريعة ترتب المعاملات الإنسانية، دائمة التطور والتغيُّر في كل زمان ومكان مما يتطلب تطور "الاجتهاد" ومواكبة التشريع لما يجده في الحياة الإنسانية، فالقول بإن النص حمال أوجه هو قولٌ صحيح إسلامياً؛ لأن إبطال النص في ظروف معينة، أمرٌ مشروع يفرضه الواقع نفسه، بل أن إبطال العمل بالقانون في كل بلاد العالم أمرٌ يحدث في الأزمات.

ونحن نرى أن الالتجاء إلى مبادئ التفسير الخاصة بالشريعة الإسلامية، وتطبيقها مسيحياً أمرٌ ينطوي على خلطٍ مَعيب؛ لأنه خلطٌ بين الشريعة أو القانون، والعقيدة.

ولأن الشريعة تحكم العلاقات الإنسانية (المعاملات)، فهي تبحث في كل ظروف الحياة الاجتماعية كما نراها وكما تُعاش وكما يجب أن تكون في تطور يلاحق ويزامن الحياة؛ لذا يكون تعدد التفاسير يكون مطلوباً. أمَّا حينما يكون الأمر متعلقاً بشخص الرب، لا بنص، فلا محل هنا لقواعد التفسير المختلفة؛ لأن الشخص هو الذي يحدد معنى النص لا العكس.

خلطٌ مَعيب بين قانون يلزم البشر بسلوك معين، ويحدد عقوبة لعدم الالتزام، وبين العقيدة التي جاءت باستعلان إلهي في ابن الآب "مَن رآني فقد رأى الآب". وهنا لا يمكن أن يكون هذا نصاً حمالاً لأوجه، بل نصٍ يشير إلى حقيقة تعاش، هي وحدانية الآب والابن التي لا يمكن أن تُفهم إلَّا على وجهٍ واحدٍ، وهو الجوهر الواحد أو الحياة الواحدة للثالوث القدوس الواحد.

وعندما يقول الرسول: "يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً"، فهو لا يقول نصاً حمالاً لأوجه، بل لا يحتمل إلَّا وجهاً واحداً، هو وجه الإله المتجسد الكامل في إلوهيته والكامل في إنسانيته.

وقد يقول قائلٌ إن هذا الكلام أو تلك النصوص هي نصوصٌ خاصة بالثالوث والابن المتجسد ولا خلاف عليها، ولكن ما يقال عن البنوة وعطية التبني يمكن أن يكون حمالاً لأوجه، وكذلك ما يقال عن سكنى وحلول الروح القدس فينا، وأننا هياكل الله، يمكن أيضاً شرحه بأكثر من وجه. إلَّا أن هذا ليس إلَّا ضربٌ من خداع؛ لأن لكل شرح هدفاً، فما هو الهدف من تأكيد أن الروح القدس لا يحل فينا، بل تحل فينا مواهب الروح القدس؟ والقائل هنا لم يدرك أن تنوع المواهب وتعددها لا يعني تنوع حلول الروح القدس وتعدده؛ لأنها – حسب عبارة الرسول – مواهب: "الروح الواحد" (١ كو ١٢ كله).

وبالتالي، ليست المشكلة مشكلة تفسير؛ لأن في الإسلام:

١– النص سبق كل شيء، وبالذات خلق آدم ودعوة إبراهيم والأنبياء. النص هو تنزيل لا علاقة له بالعبادة أي الصلوات ولم يدخل في التاريخ الإسلامي.

٢– والنص جاء لكي يحكم في أحداثٍ معينة شرحها السيوطي في أسباب التنزيل، فقد جاءت نصوصٌ لكي تحدد العلاقات، أو تصحح العلاقات، أو تحرم

علاقات، والخوض في هذا الأمر لا يخصنا في شيء، وإنما يخص علماء الإسلام. ومن هنا جاءت أحداث جديدة اختلفت عن تلك التي جاء بها التنزيل (حسب العقيدة الاسلامية)، فحق القول إن النص حمَّال أوجه.

أمَّا في المسيحية، ونظراً لِما صبه كثيرون من مياه عكرة في مجال تفسير الكتاب المقدس، واخترعوا لها عدة أسماء، فإن تجاوز أساسات الأرثوذكسية ظاهر لمن يعرف أن الآباء لم يضعوا قواعد لتفسير الكتاب، وحتى الأسماء التي نراها في الكتب الأرثوذكسية هي اجتهاد لا بأس به، ولكن علينا أن ندرك أننا لسنا أمام مشكلة تفسير للأسباب التالية:

١- المسيح يسوع رب المجد ليس فكرة، ولا هو صاحب نظريات، ولم يؤسِّس قواعد شرعية تقبل التفسير المتعدد، بل هو شخصٌ جاء لكي يؤسِّس علاقة شخصية تقوم على الإتحاد به، وهو ما يفتح مجال تجديد الكيان الإنساني.

الإنسان في الثالوث من خلال يسوع. هذه علاقة شركة لا تشرحها النصوص، بل استعلانات تعطي النعمة حسب قول الرب يسوع نفسه عن حفظ الوصايا، أي الحياة حسب تعليم الرب يسوع، وهي ثمرة المحبة، ولذلك مثل هذا "يحبني والآب يحبه وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي" (يوحنا ١٤: ١٢)، فالحياة أُظهرت (١يوحنا ١: ١-٣)، والتجسد جاء بعلاقة، ولم يكن حدثاً تعبِّر عنه نصوص، بل هو اشترك الابن في اللحم والدم، ولذلك "اشترك" الابن له المجد في هذا اللحم والدم؛ لكي يبيد الموت في اللحم والدم (عب ٢: ١٤). هذه علاقة واختبار لا يقبل التأويل؛ لأن التأويل يحول العلاقة الكيانية إلى نظرية فكرية.

٢- و"حسب أركان العالم أو تقليد الناس"، وهي مدارس الفلسفة التي ذاعت في زمن رسول المسيح بولس ليس لها علاقة بالمسيح؛ لأنه شخصٌ وليس نظريةً عقليةً. هذا الشخص "يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولو ٢: ٩)، ولم يسكت رسول المسيح، بل قال: "وأنتم مملوؤن فيه" (كولو ٢: ١٠)، وهو ذات التعبير عن الابن "المملوء نعمة وحقاً" (يو ١: ١٤). فما هو الملء؟ إنه ليس نصاً، بل هبة الحياة الجديدة (رو ٦: ٤، ٢٣)، كذلك، فإن وراثة الله، أي وراثة الملكوت مع المسيح (رو ٨: ١٧)،

هي الانتقال من العبودية إلى البنوة (غلا ٤: ٦).

هذه علاقة يعبِّر عنها النص، ولا يحكمها النص، وهي علاقة مؤسَّسة على العلاقة الأكبر، أي علاقة أقانيم الثالوث التي فتحت لنا مجال الحياة على مصراعيها بالتجسد الذي جاء بالاتحاد، وبالصليب الذي أزال حاجز الموت، وبالقيامة التي أعطت لنا الخلود، وبحلول الروح القدس لكي ننال هذه الاستعلانات لأن الروح يخبرنا بما هو آتٍ (يوحنا ١٦: ١٣)، وهو روح الآب الذي يشهد للابن (يوحنا ١٥: ٢٦)، والشهادة هنا هي أنه ينطق فينا بالشهادة للآب "أبَّا أيها الآب" (رو ٨: ١٥)، وبأن يسوع هو الرب (١ كو ١٢: ٣).

الهروب الى الخلف:

لكل ما تقدم، فإنني أشعر بالرثاء وبالحزن أيضاً على ما أصاب الكنيسة؛ لأن محاولة تدمير العقيدة من على منابر الكنيسة تهدف للدفاع عن تعليم فاسد يقوم على قطع كل شركة بيننا وبين الثالوث بإنكار الإيمان؛ لأن الإيمان المسيحي لا يقدم نصوصاً، بل يقدم نعمةً، والنعمةُ شركةً. والإيمان هو قبول استعلان يسوع المسيح الذي هو "سر التقوى الله ظهر في الجسد" (١تيمو ٣: ١٦)، فكيف يمكن أن يتحول هذا كله إلى كلام وشرح ونصوص تُشرح بأكثر من طريقة بحجة أن النص حمَّالُ أوجهٍ؟

كيف تحولت العلاقة إلى نصوص، وكيف دخل منهج الفقه الإسلامي إلى اللاهوت المسيحي؟ إن قواعد تفسير القرآن هي ما يدخل في علوم القرآن، ولكن تفسير التجسد هو ما يدخل في العلاقة مع شخص المسيح، فكيف يستقيم أن يفسر النص العلاقة؟

هكذا يفتح المعلمون الكذبة باب الارتداد.

ملحق

الفصول الأثنى عشر ضد الذين ينكرون الشركة في الطبيعة الإلهية

الفصل الأول

في المسيح

يقول رسول الرب يسوع المسيح إن الذي أقام جسد الرب هو الروح القدس: "إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رومية ٨: ١١)، وهذه القيامة تتم بصلب ودفن الطبيعة الآدمية الساقطة في المسيح، أي أنها تُصلب وتدفن وتقوم حسب شهادة رسول الرب يسوع في (رومية ٦: ١ – ٢٨) "لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته" (رو ٦: ٥).

وعلى ذلك يكون الادعاء بأننا لسنا في المسيح، أو أننا لم نشترك في حياة الرب الذي هو "حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا" (أوشية الإنجيل)، هو بمثابة إنكار للمعمودية.

أمَّا شركة الصلب والدفن والقيامة، فهي ليست شركة في حياة مخلوقه؛ لأن الحياة المخلوقة سقطت في آدم، ولذلك جاء آدم الأخير "الرب من السماء" (١ كو ١٥: ٢) لكى يعيد إليها حياة عدم الموت، وهى الحياة الإلهية؛ لأن الله هو الحى الذي لا يموت.

ولذلك، فإن مَن ينكر هذا، يكون قد أنكر معموديته التى نعترف بها في قانون الإيمان، وعليه أن يقدم اعترافاً صريحاً بالشركة في حياة الرب يسوع الإلهية المتأنسة التى لا تقبل الانقسام، أو يتنازل عن أسقفيته.

الفصل الثانى

لا يكن لك آلهة أخرى أمامي

كل مَن يستخدم العهد القديم لكى يهدم نعمة العهد الجديد، فهو لايزال يعيش تحت ظلال شريعة موسى؛ لأن الذي قال لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، هو الذي قال: "أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة" (مزمور ٨٢: ٦)، "فإن قال آلهة (يهوه الله) لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب (يوحنا ١٠: ٣٤ – ٣٥)، فإن مَن يتعدَّى أقوال الرب نفسه، يكون هو من نقض كلام الرب؛ لأننا لن نجلس على كرسى المسيح الإلهى (رؤ ٣: ٢١)؛ إذا لم يكن فينا نعمة الإلوهة، وهى نعمة التبنى والخلود.

الفصل الثالث

نعمة الحياة الأبدية

يقول رسول المسيح:

"أمَّا هبة الله، فهى حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ٢٢)

χάρισμα τού θεού ζωή αίώνιος **<u>έν</u>** Χριστώ Ίησού τώ κυρίω ήμών".

(ولعل المطران يقرأ هنا حرف الجر "فى" ويستريح).

لا توجد حياة أبدية مخلوقة، لأن كل مخلوق جاء من العدم، والرسول يؤكد أبدية الله في عبارة صريحة: "الذي له وحده عدم الموت" (١ تيمو ٦: ١٦).

وعلى ذلك، فالادعاء بأنه لا توجد شركة في حياة الله الأبدية، هو ادعاءٌ ينفي إلوهية المخلِّص، ويحوِّل عطية الحياة الأبدية إلى شيءٍ مخلوق قابل للموت، مما يعني فناء الإنسان.

الفصل الرابع

نعمة التبنى بالروح القدس

كل مَن يدَّعي أن نعمة البنوة شرفيه وأنها علاقة أدبية أخلاقية، وليست عطية من الله الآب في الابن بالروح القدس؛ لأننا في الابن نصرخ "أبَّا أيها الآب" (غلاطية ٤: ٦)، فقد سقط تحت طائلة الشريعة القديمة وعاد إلى العبودية، رغم تحذير رسول الرب: "لم تأخدوا روح العبودية للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبَّا الآب" (رو ٨: ١٥).

ومن ثمَّ لا يكون مقبولاً على أي وجه أن يأتي مجمعاً من ٧٢ أسقفاً يشهدون لشريعة العهد القديم قائلين إننا عبيدٌ، وينكرون التبنى.

وعلى نيافة المطران الذي انزعج من حرف الجر "في" أن يعرف أن حرف الجر هذا موجودٌ أيضاً في نص (رومية ٨: ١٥)؛ لأننا نصرخ **في**

<u>έν</u> ώ κραζομεν άββα ό πατήρ

ذلك؛ لأن الروح فينا، ونحن هنا نصرخ مع الابن؛ لأنه هو أيضاً فينا، فإن لم تكن لنا شركة في الروح (٢ كور ١٣: ١٤)، فلا يمكن لأي قوة مخلوقة أن تجعلنا أبناءً بالنعمة.

وعلى ذلك، فالذين عادوا إلى شريعة العبيد القاصرين (غلا ٣: ٢٣ – ٢٤) عليهم أن يقدِّموا توبةً علنيةً عن زلة العودة إلى اليهودية.

الفصل الخامس

جسد القيامة

بعد أن عرض رسول الرب تعليم القيامة من الأموات بسبب قيامة المسيح، ولأن الإسلام يعتبر القيامة من الأموات هى قوة الله الخالقة التى لم تستعلن في يسوع المسيح، وهو ما درج عليه أساقفة الرِّدة بعدم ذكر قيامة الرب في عيد القيامة لأنه لا توجد قوة تقيم الأموات إلَّا قوة يسوع الحى إلى الأبد، يقول الرسول: "الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضِعَ كل شيء لنفسه" (فيلبى ٣: ٢١)، ونحن سوف نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها، كما قال في موضعٍ آخر (٢ كور ٣: ١٨).

وصورة جسد القيامة هذا استُعلِنَت علي جبل طابور؛ لأن القيامة هى عمل الابن، وليست مثل الخلق. لذا على الذين وقعوا تحت تأثير التعليم الإسلامي أن يعودوا إلى حظيرة الإيمان؛ لأن المسيح الرب لا يقبل الذين "يعرِّجون بين الفرقتين". إمَّا أن يكونوا حارين أو باردين، حتى أنه قال لأسقف لاودكية: "لأنك فاتر ولست بارداً أو حاراً أنا مزمع أن أتقيأك من فمي" (رؤ ٣: ١٥). وقد تقيَّأ الرب بعضاً من هؤلاء، فسقطوا فى خطايا عديدة؛ لأنهم فقدوا الشركة في الطبيعة الإلهية.

الفصل السادس

تألُّه ناسوت الرب يسوع
أو
جسد مجده (فيلبى ٣: ٢١)

كل مَن ينكر تألُّه ناسوت الرب يسوع الذي تم بسبب الإتحاد الأقنومي، ولأنه غلب الموت وأقام جسده بغير فساد (أع ٢: ٢٧، ٣١ – ١٣: ٣٥، ٣٧)، فليَعلَم أنه يعلِّم بأن جسد الرب جسد بشري طبيعى مثل سائر أجساد البشر، وليس جسد مجده (فيلبى ٣: ٢١). هؤلاء عادوا إلى خرافة النسطورية التى تدَّعي أننا نتناول جسد المسيح دون لاهوته، وهذا يعنى ليس فقط إنكار اتحاد الطبيعتين في المسيح الواحد، بل إنكار فاعلية وقوة سر الإفخارستيا؛ لأن الجسد الطبيعى الآدمي لا يهب الحياة الأبدية، بل "جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين" حسب اعتراف أُم الشهداء.

ولذلك يجب أن يعود هؤلاء إلى رتبة الموعوظين؛ إذ لا تصح لهم خدمة كهنوتية؛ لأنهم ليسوا أعضاء في جسد المسيح الكنيسة، بل تلاميذ نسطور جاحد تجسد ابن الله.

الفصل السابع

الشَّركة والشُّركاء والشِّرك

نحن لا نُشرِك بالله، وإنما الله هو الذي اشترك في حياتنا بتجسد ابنه حسب كلمات الرسول: "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت" (عب ٢: ١٤). ويقول الرسول أيضاً إننا شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالبشارة (الإنجيل) (١ تس ٣: ٥).

فالشركة من الشِّرك، ومنها الشُّركاء، والشركة (٢كور ١٣: ١٤).

وشركاء الروح القدس هم حسب قول الرسول: "الذين استناروا مرةً وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس" (عب ١: ٤)؛ لأننا صرنا بالروح القدس شركاء ،كما يقول رسول الرب في نفس الرسالة عن التأديب الذي "يشترك فيه الجميع" (عب ١٢: ٨)؛ لأن هذا التأديب من الآب "لأجل المنفعة لكى نشترك في قداسته" (عب ١٢: ١٠)، ومعلومٌ أنه ليس لدي الله قداستين، بل قداسة واحدة هى طبيعته الإلهية؛ لأنه هو "القدوس". أمَّا اللعب بالكلمات "قدوس، وقديس"، فهو عائدٌ إلى سوء استخدام اللغة العربية، حيث لا فرق في اليونانية والقبطية بين الكلمتين بالمرة.

فالذين استعدوا الإسلام محارب الشِّرك، وهذا شأن الإسلام ويخص اعتقاده، نقول لهم إن ما هو ضروري وجائز في الإسلام لا مكان له في المسيحية. والاستعانة بالإسلام لشرح المسيحية يكشف عن رِدةٍ حقيقيةٍ ظهرت بشكلها الواضح في مجمع حَكَمَ بالقطع على كل مَن يعلِّم بالشركة في الطبيعة الإلهية؛ بسبب العداوة للإيمان الأرثوذكسى.

لقد تجسد ابن الله واشترك في إنسانيتنا؛ لكى نشترك نحن في إلوهيته؛ لأنه "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له" حسب تسبيح أم الشهداء التى فصل مجمع الكذب المكون

من ٧٢ أسقفاً أنفسهم عنها بسبب الكراهية للتعليم الصحيح، وقالوا إن الشركة في الطبيعة الإلهية باطلة وإننا عبيد.

الفصل الثامن

الاتحاد الأقنومي للكلمة ابن الله المتجسد

الذين سقطوا سقطةً شنيعةً عن عنادٍ وجهلٍ، واعتبروا أن اتحاد اللاهوت، أي لاهوت الله الكلمة بالناسوت، أي الإنسانية هو اتحادٌ قاصرٌ علي أقنوم الكلمة المتجسد، فصلوا المتجسد عن الكنيسة جسده، وفصلوا الرب يسوع عن أعضاء جسده المؤمنين به "لأننا جميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد .." (١ كور ١٢: ١٣)، فأصبحنا وكأننا لا يجمعنا بالمسيح الرب صلة جسدانية أو عرقية لأننا من الأمم. ولأننا لسنا آلهة متجسدة، قِيل عنا بكل حق: "الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون بكراً بين إخوة كثيرين"[١] (رومية ٨: ٢٩).

والكلمة "مشابهين" كلمة ضعيفة جداً في العربية، أمَّا في اليونانية فهي συμμόρφους وتعنى حسب التعليم الرسولى، ذلك التحول الكيانى الذي يبدأ في المعمودية، والذي تعبِّر عنه صلوات سرّ المعمودية لكنيسة أُم الشهداء، بتحول الصورة؛ ليكون لنا ذات الصورة التى للرب نفسه: "أجعلهم مستحقين للنعمة التى تقدموا إليها لينالوا من روحك القدوس ويمتلئوا من قوتك الإلهية، ويكونوا متشبهين بابنك الوحيد ربنا يسوع السميح صائرين واحداً معه".

الإنسان خُلق حسب الصورة الإلهية (تك ١: ٢٦ – ٢٧)، والصورة التى خُلِقَ الإنسان حَسَبها هو الابن (كولوسى ١: ١٥). وقد أُعيدت هذه الصورة في تجديد الإنسان في يسوع المسيح ورد الحياة الأبدية، أي الحياة حسب الله.

---

(١) رومية ٨: ٢٩ بحسب الترجمة المشتركة: فالذين سبق فاختارهم سبق فعينهم ليكونوا علي مثال صورة ابنه حتى يكون الابن بكراً لإخوة كثيرين. وبحسب الترجمة أليسوعية: ذلك بأنه عرفهم بسابق علمه وسبق أن قضى بأن يكونوا علي مثال صورة ابنه ليكون هذا بكراً لإخوة كثيرين.

وفي نور صلاة المعمودية السابقة، الروح القدس هو الذي يحوِّلنا إلى صورة الابن، وهى ليست صورة الناسوت فقط حسب الإدعاء النسطوري؛ لأننا في سرّ المعمودية وسرّ المسحة وسرّ الإفخارستيا يعمل فينا الروح القدس لكى يوحِّدنا بالمسيح؛ لأن "الآب بالكلمة في الروح القدس يعمل كل الأشياء" (القديس أثناسيوس الرسولي، الرسالة الأولى إلى سرابيون، فقرة ٢٨).

وعندما هاجم هؤلاء الاتحاد الأقنومي في شخص الرب وحده ومنعوا هذا الاتحاد عن المسيح هدموا:

- سرّ المعمودية.
- سرّ المسحة.
- سرّ الإفخارستيا.
- سرّ نعمة الكهنوت.

لأن الرب هو العامل والخادم وواهب هذه السرائر بالروح القدس، فهو الذي يوزِّع الحياة، وهو الذي "دعانا من الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ومن الضلالة إلى معرفة الحق" (صلاة المعمودية)، وهو الذي يملأنا من قوة روحه القدوس "لكى لا نكون بعد أبناء الجسد بل أبناء الحق" ونصير "حلة نورانية .. اللباس غير الفاسد وخاتم المسيح وموهبة الروح القدس، وأبناء النور" (صلوات المعمودية)، ولذلك تطلب هذه الصلاة:

- "عَرِّهم من الإنسان العتيق" آدم الأول.
- "جدد ميلادهم بالحياة الأبدية" الميلاد من فوق، من الآب.
- "لكى لا يصيروا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الملكوت"، فالعلاقة مع الوجود الآدمى الأولى انتهى.
- هذا كله "بمسرة نعمة ابنك الوحيد يسوع المسيح"

ثم

- "فليتصور المسيح في الذين ينالون صبغة الميلاد الجديد".

"الإنسان العتيق قد خُلِع الذي يفسد شهوات الضلالة ويلبسوا الإنسان الحديد

الذي يتجدد مرة أخري كصورة خالقه" ولا يجب أن نعبر بسهوله أمام هذه الكلمات:
"يا جابل المياة وخالق الكل ... نسألك يا ملكنا عن عبيدك:

- انقلهم
- وابدلهم
- وقدسهم
- وقوهم

حياة أبدية. لُباس غير فاسد. نعمة البنوة. تجديد الروح القدس...

لكى بهذه المياه وبروحه تجدد ميلاد عبيدك بقوتك الإلهية.

كيف استطاع سيادة المطران أن ينكر أن الاتحاد الأقنومي هو الذي أفاض كل هذه النعم الإلهية، وفى مقدمتها تحول الكيان الإنسانى؟ هل هذا نابعٌ من ناسوت الرب وحده؟ ... إن نسطور بكل ما كان لديه من جسارة وتهور لم ينطق بمثل هذا التعليم الشيطانى الذي يحصر كل نعمة إلهية في مصدر إنسانى لكى يقطعوا كل صلة بالابن ثم بالثالوث ومحاصرة الروح القدس في المواهب.

الفصل التاسع

المسيح يسوع ربنا وسيطٌ لعهدٍ أعظم
(عب ٨: ٦)

يقول الرسول إن كهنوت الرب هو إلى الأبد (عب ٧: ٢٤) وأن له الآن خدمة أفضل لأنه وسيط عهد أعظم قد تثبت على مواعيد أفضل (عب ٨: ٦) فحقق لنا "الفداء الأبدي" (عب ٩: ١٢)؛ لأنه بإرادته وحده قدم ذاته بحرية تامة وبسلطان إلوهيته (يوحنا ١٠: ١٨) وبهذه الإرادة قدم جسده "فقدَّسنا" (عب ١٠: ١٠)، وأعطانا "ثقة الدخول إلى قدس ألأقداس بدمه" (عب ١٠: ١٩)، ولان كهنوت الرب لم يُسلَّم له من سبط لاوي، بل هو من سبط يهوذا الذي "لم يلازم أحد منه المذبح" (عب ٧: ١١ – ١٤)، فصار بقوة إلوهيته وبقوة غلبة الموت "حياة لا تزول" (عب ٧: ١٦)، مما جعله "ضامنا لعهد أفضل" (عب ٧: ٢٢).

كل هذا يمنع إخضاع العهد الأعظم للعهد "العتيق الذي شاخ"، وهو "قريب من الاضمحلال" (عب ٨: ١٣).

ولكن سيادة الشريعة علي النعمة هى سبب الاستبداد الذي لا مكان له في كهنوت المسيح، ولأن هؤلاء صاروا الوسطاء، وكأن العهد الأعظم هم الذين شيَّدوه وقدَّموه لله والإنسانية، وهى جسارة تراها في قرارات الحرمان من الصلاة والتناول دون أسباب، أو باختراع أسباب وهمية لا علاقة لها بالإيمان، أو بالأكاذيب والتزوير مما يدفع البعض للتكالب علي المناصب؛ لأن الوسيط يسوع المسيح قد اختفى وحل محله عقيدة كفارة وفداء تلبس رداء النرجسية والسادية معاً، وتُخضع رب الحياة والموت يسوع المسيح إلى فكر بشري لا وجود له في الأسفار.

هذا هو إنكار شركتنا في حياة الثالوث وردة كل شيء إلى الخليقة الأولى الآدمية الساقطة لأن يسوع الرب قد أُبعد عن حياة المؤمنين.

الفصل العاشر

إنكار سُكنى الروح القدس

حلَّ التعليم الشيطاني بحلول المواهب بدلاً من الروح القدس، وهو ما جعل حلول الروح القدس فينا حلولاً مؤقتاً؛ لأن كل مواهب الروح القدس هى لتدبير الكنيسة في الزمان الحاضر، سواء كانت النبوة – إخراج الأرواح النجسة – الشفاء ... الخ حسب التعليم الرسولى في (رومية ١٢: ٤ – ٨)، وهى كما قلنا النبوة – الخدمة – التعليم – الوعظ – العطاء – التدبير – الرحمة، ويضاف إليها ما ذكره الرسول: التكلم بالألسنة – ترجمة الألسنة (١كور ١٤: ٣ – ٣٢).

وسكنى الروح القدس بالمواهب فقط هى ضد استعلان الحق المسلَّم لنا من الرب نفسه بأن روح الحق "يمكث معكم إلى الأبد" (يوحنا ١٤: ١٥) وهو روح الحق الذي من عند الآب ينبثق (يوحنا ١٥: ٢٦)، ويعطى لنا الشهادة لأنه يسكن فينا مع الآب والابن حسب وعد الرب: "إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤: ٢٣)؛ لأنه يأتي بالمحبة الإلهية التى يسكبها فينا (رو ٥: ٥)؛ لكى يستعلن لنا الآب والابن (يوحنا ١٤: ٢١)، فهى "مسحة القدوس" (يوخنا ٢: ٢٠) أي ذات مسحة يسوع، وهى حسب رشومات الميرون:

– "دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة" (الختم الرابع من أختام الميرون).

هكذا قاد الجهل هؤلاء إلى إنكار نعمة الحياة الأبدية، فهى ليست من مواهب الروح القدس كما حددها الرسول بولس في (رومية ١٢: ٤ – ٨ و ١كور ١٤: ٣ – ٣٢)؛ لأنها العطية العامة الجامعة التى تجمع كل المؤمنين، بينما مواهب الروح القدس تعطى لكل عضو لكى تميِّزه عن سائر الأعضاء حسب التعليم الرسولى (١كور ١٢: ٣ وما بعده).

ويبقى السؤال: لمصلحة من يُدمَّر التعليم الذي لا يخص القمص متى المسكين، ولا كاتب هذه السطور، ولا جيل معين، بل هو هدم منظم يُدفع بعنف وتسلط لكى لا تبقى الأرثوذكسية المسيحية حية تغذِّي شعب الله في زمان صعب بالرجاء الحى في حياة متألِّهة بالنعمة. أمَّا قطع كل الربط التى تربطنا بالرأس (كو ٢: ١٩)، فلكى يموت الجسد ويُفصَل عن الرأس ولا ينمو "نمواً من الله" (كو ٢: ١٢)؛ لأن الشريعة لا تعطى النمو. وتعليم البشر الذي ينزع وساطة الرب يسوع، لا يمنح الحياة الأبدية، بل الموت.

إن الذي يسعى إلى قتل الكنيسة هو قاتل يجب عليه أن يترك الكنيسة، أو أن يعود إلى الدير لكى يتعلم طريق الحياة، لعله ينال الحياة الأبدية هبة الرب يسوع المسيح (رومية ٦: ٢٣).

الفصل الحادي عشر

الصلاة الأرثوذكسية

نحن لا نملك أن نخاطب الآب، ونقول له أبانا الذي في السموات إلَّا لأن الابن فينا؛ إذ يقول القديس أثناسيوس:

> "هؤلاء الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطان أن يصيروا أولاد الله؛ لأنه لم يكن في إمكانهم – حيث أنهم مخلوقات – أن يصيروا أبناء الله بأي وسيلة أخرى إلَّا بأن يتقبلوا روح الابن الذي هو الابن بالحق وبالطبيعة. ولكي يتم هذا، صار الكلمة جسداً لكى يجعل الإنسان قادراً علي تقبل الإلوهة ... الله ليس أبانا بالطبيعة، بل هو آب الكلمة الكائن فينا والذي به نصرخ "أبانا أيها الآب" (ضد الأريوسيين ٢: ٥٩).

وإنكار المسيح الذي يحل فينا بالإيمان (أف ٣: ١٧)؛ لأن الرسول يبشرنا بالخبر السار "الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد" (كو ١: ٢٧). ولأن المسيح فينا، فنحن لا نعرف كيف نصلي، ولكن الروح يصلي فينا وبنا "بأنَّاتٍ لا ينطق بها" (رومية ٨: ٢٦)، ولكن الذين ارتدوا عن التعليم، صارت صلواتهم لغواً وكلاماً بشرياً يخلوا من قوة الروح الذي لا يريدون له أن يمكث فيهم، ولا للرب أن يغسلهم من دنس النفس والجسد؛ لأن النفس التى لا تريد سكنى الروح تموت، وتلك التى ترفض سكنى المسيح هى بلا رجاء.

إنطلاقاً من هذا الخواء والفراغ يمارس هؤلاء خدمة الموت لا خدمة الروح، وخدمة الشريعة لا خدمة النعمة، ولذلك يهاجمون بشراسة وكراهية شيطانية كل الذين ينشرون تعليم الكنيسة لا سيما تراث الآباء.

ونحن نسأل: بأي نعمة يقفون أمام المذابح، وبأي وساطة يخدمون سرّ الأسرار؟

إن قطع هؤلاء من الكنيسة هو عودة الكنيسة إلى صواب الحياة وصحة التعليم؛ لأن التألُّه الحقيقى لم يكن في شهوة الإلوهة كما يدعى هؤلاء، بل في الصلاة الدائمة بالروح القدس وبالاتحاد الذي لا افتراق فيه بين الرأس والأعضاء، وبالحياة الأبدية هبة الثالوث التى تجعل كل إنسان أبدياً مثل الله العظيم الأبدي، ورحيماً مثل الآب الرحيم، وكاملاً في المحبة مثل كمال الآب (متى ٥: ٤٦ – ٤٨).

الفصل الثانى عشر

ليتك كنت بارداً (مثل آريوس)،أو حاراً (مثل كيرلس)؛
لأنك فاترٌ (مثل نسطور)
أنا مزمعٌ أن أتقيأك من فمي
(رؤ ٣: ١٦)

لماذا تعرِّجون بين الفرقتين؟

يا ليت الذين حاربوا الشركة في الطبيعة الإلهية بكل خدعة وتدليس، أشهروا إيمانهم بالأريوسية؛ لكي نقدم لهم رد القديس أثناسيوس. وليتهم بعد أن قالوا إننا نتناول الناسوت دون اللاهوت، قالوا صراحةً أنهم تلاميذ نسطور؛ لكي نقدم لهم ردود القديس كيرلس وقرار مجمع أفسس المسكوني.

لكنهم يعرِّجون بين اعترافٍ لفظي بالأرثوذكسية، وإنكار علني لها.

يقولون إنهم يؤمنون بالثالوث، ولكنهم في الواقع يؤمنون بصفات لجوهر الله، هي: الوجود – العقل – الحياة، وهذا ليس إيماناً بالثالوث.

يقولون إنهم يؤمنون بالتجسد، ولكنهم حسب تعليم أغلب هؤلاء ينكرون الاتحاد الأقنومي ويهدمون بذلك الأسرار.

وقد قال رئيسهم قبل أن ينتقل إن للمسيح ثلاثة أجساد: جسد تجسده –

جسده في الإفخارستيا – جسده الكنيسة[1] وهكذا فصم اتحادنا بالمسيح على هذا النحو. وصمت تلاميذ نسطور، وسكت الاتقياء خوفاً من بطش من لا يعرف المحبة ولا الحق ..

ولكن حسب اعتراف الكنيسة في القداس: "هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه ابنك الوحيد ... من سيدتنا ملكتنا كلنا ... وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاطٍ ولا امتزاجٍ ولا تغيير ... "، اعترافٌ حتى "النفس الأخير"، فلا يوجد إلَّا جسد واحد، وتبقى الكنيسة التي لو آمن الباردون والفاترون بأنها جسد المسيح لتغيَّر كل شيء.

* هي جسد المسيح لأن كل عضوٍ فيها صُلِبَ ودُفِنَ وقام مع المسيح في المعمودية، وصارت له ذات حياة يسوع الحي (رو ٦: ١ – ٨).

* هي جسد المسيح لأن روح يسوع الذي أقام يسوع من الأموات هو الذي سوف يقيم أجسادنا المائتة بروح يسوع الساكن فينا (رو ٨: ١١).

* هي جسد المسيح؛ لأننا اتحدنا به، لأننا نتناول من القدسات "لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين" (القداس الباسيلي).

* هل عندما قال رسول الرب: "وأمَّا أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً"، هل كان يتحدث عن ثلاثة أجساد؟ وهل ذكر العهد الجديد ثلاثة أجساد؟

إن الرب سوف يتقيأ هؤلاء علناً. والعبرة هي أننا سنرى ذلك.

أقم يا رب راعياً صالحاً يتمسك بالأرثوذكسية،

ويعيد إلينا تقوى الآباء أثناسيوس وكيرلس،

وشهادة أنطونيوس ومكاريوس وباخوميوس.

آمين

---

(١) راجع مقالتنا عن الكنيسة الجسد الواحد، العقيدة والاختبار الليتورجي. منشور على موقع www.coptology.com